تَأَمُّلَاتٌ

في قصة نملة سليمان عليه السلام

تَأَمُّلَاتٌ

في قصة نملة سليمان عليه السلام

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

رقم الإيداع

٥٨٨٢ / ٢٠٢١

الترقيم الدولي

٩٧٨-٩٧٧-٦٨٠٤-٢٧-٢

القاهرة : +201022332041

+201110117447

السعودية : +966541297982

المغرب : +212522452084

MofakrounINT

info@mofakroun.com

www.mofakroun.com

مفكرون

الدولية للنشر والتوزيع

تَأمُّلاتٌ

في قصة نملة سليمان عليه السلام

تأليف

د. عبد الرحمن ساكو

مفكرون الدولية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ
سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾

[سورة النمل:١٨]

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فهذه دراسة علمية أسميتها: تأملات في قصة نملة نبي الله سليمان عليه السلام، دعاني إلى كتابتها أهمية هذا الكائن الصغير الحجم، الذي سماه الله عز وجل بـــــ: نملة، العديم القيمة والمنفعة في نظر كثير من الناس.

إن المتأمل بعين الدقة والاعتبار في إنجازات هذه النملة، وما تحمله من هم قومها وبني جنسها من النمل، لا يملك إلا أن يعترف لها بتلك المنزلة العالية، والمكانة السامقة التي تبوأتها في مملكة نبي الله سليمان عليه السلام.

نملة صغيرة نكرة تسعى بكل همة وقوة وثبات لإنقاذ قومها من الموت، لم تفكر في شأن نفسها، وتترك قومها فريسة للموت والإبادة، كلا وإنما بذلت ما في وسعها، فنادت عليهم بأعلى صوتها، وقدمت النصيحة لهم، وحذرتهم من مغبة عصيان أمرها، واعتذرت لنبي الله سليمان عليه السلام وجنوده، فهل نحمل نحن هم قومنا وأمتنا؟ هل نحن نحمل هم المجتمع الذي نعيش فيه؟، فنسعى لإنقاذ مجتمعاتنا، ونرفع راية الإصلاح والتوجيه والإرشاد، وننخرط في العمل والبناء والتشييد.

حقا إنها نملة نشيطة خيِّرة، صاحبة إدراك عميق، ونظر ثاقب، إنها على صِغر حجمها ووزنها أنقذت أمة بأكملها من الهلكة والدمار؛ ولذلك استحقت أن يفرد لها سورة كاملة في كتاب الله، تسمى بسورة النمل، كي نتفاعل نحن البشر مع قصتها، وندرك الهدف من وجودنا على هذه الأرض، فننطلق في أرجاء المعمورة، نعمر هذا الكون الفسيح الممتد الأرجاء بما يرضي الله جل جلاله، نعمره بالإيمان بالله جل جلاله والعمل الصالح،

ونسيح في أرجائه نبلغ دين الله عز وجل للعالمين، فنعلم الجاهل، وننبِّه الغافل، ونطعم الجائع، ونكسو العاري، ونقف مع المظلوم ضد الظالم، ونضمد الجراح، ونرسم البسمة على وجه اليتيم، ونعطف على الفقير والمسكين، ونخفف من لوعة الأرامل والثكالى، وننصر دين الله عز وجل.

وهنا قد يثور سؤال له من الأهمية مكان لا يمكن إغفاله وإنكاره، ألا وهو: لماذا النملة في هذا الوقت بالذات؟

ويأتي الجواب ليقول؛ لأنَّ قصة نملة سليمان عليه السلام تحوي في طياتها عبرًا ودروسًا كثيرة نحن في أمس الحاجة إلى معرفتها - وخصوصًا في هذه الأيام العصيبة التي تمر بها أمتنا - وتطبيقها وتفعيلها على أرض الواقع لنسعد في دنيانا، ونحيا حياة طيبة، ولننجو يوم القيامة، ونحصل على مرضات الله جل وعلا بالدخول في جنته، التي فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

إن النمل حيوانٌ: " قويُّ الحس شمام جدا، يدَّخر القوت، ويشقُّ الحبة قطعتين لئلا تنبت، والكزبرة بأربع، لأنها إذا قطعت قطعتين أنبتت، وتأكل في عامها بعض ما تجمع، وتدَّخر الباقي عدة "(١) يقول الشيخ المراغي رحمة الله عليه في معرض تفسيره لآية النملة: " قد دل بحث الباحثين في معيشة النمل على مالها من عجائب في معيشتها وتدبير شؤونها، فإنها لتتخذ القرى في باطن الأرض، وتبني بيوتها أروقة ودهاليز وغرفات ذوات طبقات، وتملؤها حبوبًا وقوتًا للشتاء، وتخفي ذلك في بيوت من مساكنها منعطفات إلى فوق، حذرًا من ماء المطر، وفي هذه الآية تنبيه إلى هذا لإيقاظ العقول إلى ما أعطيته من الدقة وحسن النظم والسياسة، فإن نداءها لمن تحت أمرها وجمعها لهم ليشير إلى كيفية سياستها، وحكمتها وتدبيرها لأمورها، وأنها تفعل ما يفعل الملوك، وتدبِّر وتسوس كما يسوس الحكام.

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٨ / ٢٢١، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: سنة ١٤٢٠هـ.

ولم يذكره الكتاب الكريم إلا ليكون أمثالًا تضرب للعقلاء، فيفهموا حال هذه الكائنات، وكيف أن النمل أجمعت أمرها على الفرار خوفًا من الهلاك كما تجتمع على طلب المنافع، وإن أمة لا تصل في تدبيرها إلى مثل ما يفعل هذا الحيوان الأعجم تكون أمة حمقاء تائهة في أودية الضلال، وهي أدنى حالا من الحشرات والديدان"[1].

وعليه، فإن الحل والنجاة والفوز والفلاح يكمن في العودة إلى دين الله جل جلاله عودًا صالحًا حميدًا، واستثمار الأوقات والفرص فيما يرضي ربنا، والعمل سويًّا لإسعاد البشرية جمعاء، وانتشالها من حالة التيه والضياع التي تتخبط فيها صباح مساء.

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وقد تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع، مع الإشارة ضمنًا إلى أسباب اختياره، ثم التمهيد، وقد عنونت له بـــ: نبذة تعريفية بسورة النمل، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمها، عدد آياتها، سبب نزولها، فضلها.

المطلب الثاني: موضوعاتها ومضامينها.

المطلب الثالث: أغراضها ومقاصدها.

الفصل الأول: نبذة تعريفية بالنمل، ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: معلومات عن عالم النمل.

المبحث الثاني: كيف يعيش النمل؟

المبحث الثالث: فوائد النمل وأضراره وعجائبه.

المبحث الرابع: الأحاديث النبوية التي وردت بشأن النمل.

الفصل الثاني: قصة نملة سليمان عليه السلام، ويشتمل على خمسة مباحث:

(١) تفسير المراغي ١٩ / ١٢٩، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط: ١ سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.

المبحث الأول: أهمية العلم ودوره في بناء المجتمعات.

المبحث الثاني: توارث الأجيال للعلم.

المبحث الثالث: أهمية وضرورة تعلم لغات الأمم الأخرىٰ.

المبحث الرابع: توفير الإمكانات وحسن إدارتها والتصرف فيها بحكمة وتعقل.

المبحث الخامس: استشعار كل فرد من أفراد المجتمع دوره في تحقيق النهوض الحضاري.

الفصل الثالث: الأحكام الفقهية المتعلقة بقصة نملة سليمان عليه السلام، ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: حكم أكل الطعام الذي وقع فيه النمل ومات.

المبحث الثاني: حكم قتل النمل.

المبحث الثالث: حكم بيع الحشرات.

المبحث الرابع: حكم الضحك في الإسلام.

الفصل الرابع: الدروس المستفادة من النمل، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدروس المستفادة من نملة سليمان عليه السلام.

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من حياة النمل.

المبحث الثالث: خطورة النمل الأبيض.

وأخيرًا: **خاتمة الدراسة،** وتشتمل علىٰ أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس المصادر، وفهرس الموضوعات، وفي الختام، أتضرع إلىٰ الله العلي القدير أن يلهمني التوفيق والنجاح والسداد؛ كي أتمكن من إعداد دراسات أخرىٰ في حقل الدراسات القرآنية، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، إنه تعالىٰ هو ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله علىٰ رسولنا الأمين محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

نبذة تعريفية بسورة النمل.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمها، عدد آياتها، سبب نزولها، فضلها.

المطلب الثاني: موضوعاتها ومضامينها.

المطلب الثالث: أغراضها ومقاصدها.

المطلب الأول

اسمها، عدد آياتها، سبب نزولها، فضلها

سورة النمل سورة مكيَّة، وهي تعتبر من السور المثاني، وعدد آياتها ٩٣ آية، وترتيبها في المصحف هو السورة السَّابعة والعشرون في الجزء العشرين، وقد نزلت بعد سورة الشعراء، وبدأت بحروف مقطعة، حيث يقول الله جل جلاله: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾[١] وقد تناولت السورة الكريمة قصة نبيِّ الله سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ السيدة بلقيس رحمة الله عليها، ووردت البسملة فيها مرتين، أولاهما: في بداية السورة، والثانية: عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٢] حيث نجد نبيَّ الله سليمان عليه السلام يفتتح خطابه إلى ملكة سبأ بلقيس بالبسملة، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على بركة هذه السُّورة، وكثرة خيراتها وكنوزها، وغزارة معلوماتها وفوائدها، وكل سور الذكر الحكيم مباركات بحمد الله جل جلاله.

يقول العلامة التونسيُّ محمد الطاهر بن عاشور رحمة الله عليه في مطلع تفسيره لهذه السورة:" وهي السورة الثامنة والأربعون في عداد نزول السور، نزلت بعد الشعراء وقبل القصص، كذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير "[٣].

أما اسمها: فقد سميت بسورة النمل؛ لورود قصة النمل مع نبيِّ الله سليمان عليه السلام، وقد تناولت قضايا العقيدة والإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، كما تناولت مبحث الرسالة، والبعث والنشور، وقد

(١) سورة النمل، الآية رقم ١ .

(٢) سورة النمل، الآية رقم ٣٠.

(٣) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، ١٩ / ٢١٥، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة ١٩٨٤م.

جاءت بعد سورة الشعراء وقبل سورة القصص، وهي إحدى سور ثلاث نزلت متتالية، وهي الشعراء والنمل والقصص، ويكاد يكون منهجها واحدًا في سلوك مسلك العظة والعبرة والاستفادة من قصص الأمم الغابرة، والقرون الماضية.

يقول العلامة محمد الطاهر بن عاشور رحمة الله عليه: " أشهر أسمائها سورة النمل، وكذلك سميت في صحيح البخاري، وجامع الترمذي، وتسمى أيضًا سورة سليمان، وهذان الاسمان اقتصر عليهما في الإتقان وغيره، وذكر أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن أنها تسمى سورة الهدهد، ووجه الأسماء الثلاثة أن لفظ النمل ولفظ الهدهد لم يذكرا في سورة من القرآن غيرها، وأما تسميتها سورة سليمان فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصَّلًا لم يذكر مثله في غيرها، وهذه السورة مكيَّة بالاتفاق كما حكاه ابن عطية والقرطبي والسيوطي وغير واحد، وذكر الخفاجي أن بعضهم ذهب إلى مكيَّة بعض آياتها (كذا ولعله سهو صوابه مدنية بعض آياتها)"(١).

وعليه، فإن لهذه السورة ثلاثة أسماء مباركات، أشهرها سورة النمل، ثم سورة الهدهد، ثم سورة سليمان عليه السلام.

ويقول الإمام الآلوسي رحمة الله عليه في مطلع تفسيره للسورة: " وتسمى أيضًا كما في الدر المنثور سورة سليمان، وهي مكية كما روي عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم، وذهب بعضهم إلى مدنية بعض آياتها كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وعدد آياتها خمس وتسعون آية حجازي، وأربع بصري وشامي، وثلاث كوفي، ووجه اتصالها بما قبلها أنها كالتتمة لها حيث زاد سبحانه فيها ذكر داود وسليمان، وبسطَ فيها قصة لوط عليه السلام أبسط مما هي قبل "(٢).

---

(١) المصدر السابق، ١٩ / ٢١٥

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام شهاب الدين الآلوسي، ١٠ / ١٥١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١٥هـ

والإمام الآلوسي رحمة الله عليه بهذا البيان والتحرير والتأصيل يلفت انتباهنا إلى مسألتين:

الأولى: هي هل سورة النمل كلها مكية أم بعض آياتها مدنية؟، وقد أورد في ذلك قولين اثنين من غير ترجيح بينهما.

الثانية: وتتعلق ببيان عدد آياتها، وهو ما يسمى عند علماء القراءات بعلم عد الآي، وقد ذكر في شأنها أقوالا ثلاثة:

القول الأول: عدد آياتها خمس وتسعون، بالعدِّ الحجازيِّ.

القول الثاني: عدد آياتها أربع وتسعون بالعدِّ البصريِّ والشاميِّ.

القول الثالث: عدد آياتها ثلاث وتسعون بالعدِّ الكوفيِّ[1].

ووقع الخلاف في آيتين هما قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[2] عدهما المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون، وقوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾[3] لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون، وكلهم لم يعد: ﴿طسٓ﴾[4] وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدودًا بإجماع موضع واحد، وهو: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[5] بعده ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[6][7].

---

(١) انظر على سبيل المثال: البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، صـ ١٩٩، الناشر: مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت.

(٢) سورة النمل، الآية رقم ٣٣ .

(٣) سورة النمل، الآية رقم ٤٤ .

(٤) سورة النمل، الآية رقم ١ .

(٥) سورة النمل، الآية رقم ٦٥ .

(٦) سورة النمل، الآية رقم ٦٥ .

(٧) البيان في عد آي القرآن، صـ ١٩٩ .

وقبل أن أختم هذه المسألة أود الإشارة في عجالة إلى أن الاختلاف الحاصل في عدد آيات السور إنما هو مجرد خلاف شكلي لا يؤثر على النص القرآني ذاته، ويؤكد لنا هذا المنحى والاتجاه العلامة أحمد بن أبي عمر الأندراني حيث يقول في تعليل الخلاف الواقع في عدد آيات سور القرآن الكريم: " لقد عني صدر هذه الأمة بالقرآن عناية أكيدة، حتى عدوا آياته وكلماته وحروفه، وقد وقع لهم في ذلك اختلاف ليس باختلاف على الحقيقة، وإن كان اختلافًا في اللفظ، وذلك أن أهل الكوفة عدوا قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾[1] آية، وعدوا: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾[2] وغيرهم بعد تمام الآية ... فهذا ونحوه اختلاف في التسمية، وليس اختلافًا في القرآن "[3].

ثم إن الإمام الآلوسي رحمة الله عليه أومأ بعد أن تناول تينك المسألتين إلى ملحظ مهم جدير بالعناية والتأمل، يتمثل في بيان وجه العلاقة أو المناسبة التي تربط هذه السورة بما قبلها.

أما عن سبب نزولها: فإنَّ علمَ أسباب النزول علمٌ واسعٌ جدًّا، وهو لم يحط جميع الآيات القرآنية، فهناك آيات قرآنية لم يرد لها سبب نزول عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، وتعدُّ سورة النمل واحدة من تيكم السور التي لم يرد شيء في سبب نزولها، بل إن عامة سور آيات الذكر الحكيم لم يذكر لها سبب نزول في كتب التفاسير، أو في كتب علوم القرآن.

وبالنسبة لفضل هذه السورة ومنزلتها ومكانتها، فيكمن ذلك في كون السورة تناولت موضوعات لها أهمية كبيرة، كما أنها تحمل فضل تلاوة القرآن الكريم بشكل عام، فتلاوة

---

(١) سورة ص، الآية رقم ١.

(٢) سورة ص، الآية رقم ٨٤ .

(٣) البيان في عد آي القرآن، صـ ٤ .

القرآن عبادة تقرب المسلم إلى رضوان الله جل جلاله، وتنال بها الشفاعة يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وقد ورد في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف "[١] وقوله صلى الله عليه وسلم: " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة "[٢] وقوله صلى الله عليه وسلم: " اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه "[٣].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر، رقم ح (٢٩١٠) الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: سنة ١٩٩٨م.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤١ / ٢٠٦، رقم ح (٢٤٦٦٧) الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١ سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم ح (٨٠٤) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة الطبع.

المطلب الثاني

موضوعاتها ومضامينها

أما بالنسبة لموضوعات سورة النَّمل، فإن صاحب الظلال رحمة الله عليه يبين لنا ذلك بتعبير بليغ وأسلوب ماتع يأخذ بمجامع القلوب، ويسيطر على الفؤاد والوجدان، وقد سطَّرَ تلك الكنوز والذخائر بقلمه السيال، فكتب: " هذه السورة مكية نزلت بعد الشعراء، وهي تمضي على نسقها في الأداء: مقدمة وتعقيب يتمثل فيهما موضوع السورة الذي تعالجه، وقصص بين المقدمة والتعقيب يعين على تصوير هذا الموضوع ويؤكده، ويبرز فيه مواقف معينة للموازنة بين موقف المشركين في مكة ومواقف الغابرين قبلهم من شتى الأمم، للعبرة والتدبر في سنن الله وسنن الدعوات.

وموضوع السورة الرئيسي-كسائر السور المكية - هو العقيدة: الإيمان بالله، وعبادته وحده، والإيمان بالآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب، والإيمان بالوحي، وأن الغيب كله لله، لا يعلمه سواه، والإيمان بأنَّ الله هو الخالق الرازق واهب النِّعم، وتوجيه القلب إلى شكر أنعُم الله على البشر، والإيمان بأنَّ الحول والقوة كلها لله، وأنَّ لا حول ولا قوة إلا بالله، ويأتي القصص لتثبيت هذه المعاني وتصوير عاقبة المكذبين بها وعاقبة المؤمنين.

تأتي حلقة من قصة موسى عليه السلام تلي مقدمة السورة، حلقة رؤيته للنار، وذهابه إليها، وندائه من الملأ الأعلى، وتكليفه الرسالة إلى فرعون وملئه، ثم يعجل السياق بخبر تكذيبهم بآيات الله وهم على يقين من صدقها، وعاقبة التكذيب مع اليقين ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1] وكذلك شأن المشركين في مكة كان مع آيات القرآن المبين.

وتليها إشارة إلى نعمة الله على داود وسليمان عليهما السلام ثم قصة سليمان مع النَّملة،

(١) سورة النمل، الآية رقم ١٤.

ومع الهدهد، ومع ملكة سبأ وقومها، وفيها تظهر نعمة الله على داود وسليمان وقيامهما بشكر هذه النِّعمة، وهي نعمة العلم والملك والنُّبوة مع تسخير الجنِّ والطير لسليمان، وفيها تظهر كذلك أصول العقيدة التي يدعو إليها كل رسول.

ويبرز بصفة خاصة استقبال ملكة سبأ وقومها لكتاب سليمان، وهو عبد من عباد الله واستقبال قريش لكتاب الله، هؤلاء يكذبون ويجحدون، وأولئك يؤمنون ويسلمون، والله هو الذي وهب سليمان ما وهب، وسخر له ما سخر، وهو الذي يملك كل شيء، وهو الذي يعلم كل شيء، وما ملك سليمان وما علمه إلا قطرة من ذلك الفيض الذي لا يغيض.

وتليها قصة صالح مع قومه ثمود، ويبرز فيها تآمر المفسدين منهم عليه وعلى أهله، وتبييتهم قتله ثم مكر الله بالقوم، ونجاة صالح والمؤمنين معه، وتدمير ثمود مع المتآمرين ...، وقد كانت قريش تتآمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبيت له كما بيتت ثمود لصالح وللمؤمنين.

ويختم القصص بقصة لوط مع قومه، وهمهم بإخراجه من قريتهم هو والمؤمنون معه بحجة أنهم أناس يتطهرون، وما كان من عاقبتهم بعد إذ هاجر لوط من بينهم وتركهم للدمار ...، ولقد همت قريش بإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم وتآمرت في ذلك قبل هجرته من بين ظهرانيهم بقليل.

فإذا انتهى القصص بدأ التعقيب بقوله: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾(١) ثم أخذ يطوف معهم في مشاهد الكون، وفي أغوار النفس، يريهم يد الصانع المدبر الخالق الرازق، الذي يعلم الغيب وحده، وهم إليه راجعون، ثم عرض عليهم أحد أشراط الساعة وبعض مشاهد القيامة، وما ينتظر المكذبين بالساعة في ذلك اليوم العظيم.

(١) سورة النمل، الآية رقم ٥٩.

ويختم السورة بإيقاع يناسب موضوعها وجوها: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ، وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ، وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[1].

والتركيز في هذه السورة على العلم، علم الله المطلق بالظاهر والباطن، وعلمه بالغيب خاصة، وآياته الكونية التي يكشفها للناس، والعلم الذي وهبه لداود وسليمان، وتعليم سليمان منطق الطير وتنويهه بهذا التعليم، ومن ثم يجيء في مقدمة السورة: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[2] ويجيء في التعقيب ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ، بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾[3] ...، وهكذا تبرز صفة العلم في جو السُّورة تظللها بشتَّى الظلال في سياقها كله من المطلع إلى الختام، ويمضي سياق السورة كله في هذا الظل حسب تتابعه الذي أسلفنا، فنأخذ في استعراضها تفصيلاً "[4].

(١) سورة النمل، الآية رقم ٩١ -٩٣ .

(٢) سورة النمل، الآية رقم ٦ .

(٣) سورة النمل، الآية رقم ٦٥ - ٦٦ .

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب، ٥ / ٢٦٢٤ - ٢٦٢٥، الناشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط: ١٧، سنة ١٤١٢هـ.

المطلب الثالث

أغراضها ومقاصدها

أما بالنسبة لأغراض السورة الكريمة، فمن تلكم الأغراض والمقاصد ما ألمح إليه شيخ الزيتونة الكبير العلامة محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله بقوله: " أول أغراض هذه السورة افتتاحها بما يشير إلى إعجاز القرآن ببلاغة نظمه وعلو معانيه، بما يشير إليه الحرفان المقطعان في أولها ..."[1].

ومن أغراضها أيضا: تنزيه أنبياء الله ورسله الكرام وأتباعهم، وتبرئة ساحتهم عن ارتكاب المكاره والمحرمات عمدًا، وقد أشار إلى هذا المقصد علامة الشام الكبير محمد جمال الدين القاسمي رحمة الله عليه في تفسيره القيم، حيث يقول:" قال المهايمي: سميت بها؛ لاشتمالها على مقالتها الدالة على علم الحيوان بنزاهة الأنبياء وأتباعهم عن ارتكاب المكاره عمدًا، وهو مما يوجب الثقة بهم، وهو من أعظم مقاصد القرآن "[2] ومراده بالحيوان هنا نملة سليمان.

يقول الشيخ العلامة عبدالحميد كشك رحمة الله عليه في معرض تحريره لمقاصد سورة النمل: " مقصود السورة ومعظم ما تضمنته: بيان شرف القرآن، وما منه نصيب أهل الإيمان، والشكاية من أهل الشرك والعصيان، وإشارة إلى ذكر الوادي المقدس، وموسى بن عمران، وذكر خبر داود وسليمان، وفضل الله تعالى عليهما ببيان منطق الطير وسائر الحيوان، وقصة النمل، وذكر الهدهد، وخبر بلقيس، ورسالة الهدهد إليها من سليمان، ومشاورتها أركان الدولة، وبيان أثر الملوك إذا نزلوا في مكان، وإهداء بلقيس إلى سليمان وتهديده لها، ودعوة آصف لإحضار تخت بلقيس في أسرع زمان، وتغيير حال العرش

---

(١) التحرير والتنوير، ١٩ / ٣١٥ .

(٢) محاسن التأويل، لجمال الدين القاسمي، ٧ / ٤٨٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١ سنة ١٤١٨هـ.

لتجربتها، وإسلامها على يد سليمان، وحديث صالح ومكر قومه في حقه، وطرف من حديث قوم لوط أولي الطغيان، والبرهان في الحدائق والأشجار والبحار والأنهار، وإجابة الحق دعاء أهل التضرع، والابتهال إلى الرحمن، وهداية الله الخلق في ظلمات أكبر، والبحر، وإطلاع الحق تعالى على أسرار الغيب، وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم في إعراض المنكرين عن قبول القرآن، وقبول الإيمان، وخروج الدابة، وظهور علامة القيامة، والإخبار عن حال الجبال في ذلك اليوم، وبيان جزاء المجرمين، وإعراض الرسول عن المشركين، وإقباله على القرآن الكريم، وأمر الله له بالحمد على إظهار الحجة"(1).

وبناء على ما سبق تأصيله، فإنه يمكننا تقسيم مقاصد هذه السورة الكريمة إلى قسمين أساسيين: مقصد عام، ومقاصد فرعية، ويتمثل الأول في دعوة المسلمين إلى التفوق الحضاري عن طريق الأخذ بوسائل النصرة والتمكين في الأرض، ويتمثل الثاني في بيان السبل والطرائق التي تؤدي إلى هذا التفوق الحضاري في جميع مناحي الحياة، ومنها: تحقيق العبودية لله جل جلاله، وحسن التخطيط والإدارة، والقيادة الواعية البصيرة بما يحاك ضدها من مؤامرات وخطط، الساعية نحو النهوض والتقدم في جميع مناحي الحياة.

ومن المقاصد الفرعية التي تدعو إليها السورة الكريمة: الدعوة إلى التأسي بسير الأنبياء والصالحين من خلال ذكر قصصهم وأخبارهم، فإن في قصصهم عبرة لأولي الألباب والنهى، وبيان فضل الله على عباده، وأنه سبحانه المتصرف فيهم، المالك لرقابهم، المدبر لشؤونهم، العالم بأحوالهم، المطلع على ضمائرهم ومكنوناتهم، فلا إله غيره، ولا رب سواه.

ومن المقاصد الفرعية التي ترشد إليها السورة: التعرف على مفاتيح النجاح والتقدم، والسعي لامتلاكها والتمكن منها، ومن تلكم المفاتيح:

---

(1) في رحاب التفسير للشيخ عبد الحميد كشك، 19 / 3489-3490، الناشر: المكتب المصري الحديث.

استشعار المسلم لقيمة العلم والعلماء، وخطورة الجهل والجهلاء، وتوريث النجاح ووسائله إلى الأبناء والأولاد والأحفاد، وضرورة تعلم اللغات وإتقانها، وتوفير الإمكانات وحسن إدارتها، والتصرف فيها بحكمة وتعقل.

ومن المقاصد التي ترمي إليها هذه السورة: استشعار كل فرد من أفراد المجتمع أن له دورًا مهمًّا في السعي لتحقيق النهوض الحضاري الشامل في جميع ميادين الحياة، حتى لو كان دوره ضئيلًا ومحدودًا، والتأكيد على دور القيادة الناجحة الواعية، فتلك القيادة هي التي تجعل كل فرد من أبناء المجتمع يشعر بالمسؤولية ويؤديها على الوجه الأكمل.

ومن مقاصد السورة أيضا: التأكيد على أن الأخذ بالشورى يدفع الأفراد إلى المشاركة الخلَّاقة في تحقيق النهوض الحضاري المنشود، وتأصيل وتقرير أن القيادة الربانية الناجحة هي التي تنشد لشعبها التفوق والتقدم دونما نظر وتطلع إلى ما في أيديهم من متاع الحياة الدنيا الفانية.

ومن تلكم المقاصد والمرامي: التأكيد على أن التفوق الحضاري للمسلمين سيكون دافعًا ومغريا ومقنعًا لغير المسلم إلى اعتناق هذا الدين الحنيف، واللحاق بركبه المبارك، والانخراط في سلكه الميمون بغية الحصول على خيري الدنيا والآخرة.

ومن جملة المقاصد الفرعية التي تروم بيانها هذه السورة: توضيح عناصر التفوق الحضاري، وتوعية الأفراد بضرورة السعي نحو تفعيلها على أرض الواقع، من خلال تحديد الأهداف ووضوحها، والعلم بالتكنولوجيا، والسعي نحو امتلاك القوة والقدرة على استخدامها عند الضرورة والحاجة القصوى، مع الإحساس والشعور التام بكامل المسؤولية، وخطورة التقاعس عن أداء الحقوق والواجبات.

وأخيرًا: فإن السُّورة تروم التذكير بأن التَّقدم العلمي الذي ننشده ونصبوا ونتطلع إليه دائمًا وأبدًا لا يمكن تحققه على الوجه الأمثل إلا بإدامة النظر في الكون والتأمل في آياته بغية استخلاص العبر والدروس، ومعرفة السنن الكونيَّة التي لا تتحول ولا تتبدل ولا تتغير على مرِّ الدهور والأزمان والأيام، ولن تجد لسنة الله تبديلًا، ولن تجد لسنة الله تحويلًا.

الفصل الأول

نبذة تعريفية بالنمل

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: معلومات عن عالم النمل.

المبحث الثاني: كيف يعيش النمل؟

المبحث الثالث: فوائد النمل وأضراره وعجائبه.

المبحث الرابع: الأحاديث النبوية التي وردت بشأن النمل.

المبحث الأول

معلومات عن عالم النمل

ينتمي النمل بالإنجليزية ants إلى عائلة النمليَّات، والاسم العلمي: Formicidae، وهو يعدُّ من الكائنات الاجتماعية التي تعيش معًا في مستعمرات منظمة، وينتشر في أماكن عديدة من العالم، ولكنه يوجد بشكل خاص في المناطق الحارة منه، ويتراوح في حجمه بين 2ـ25 مم، ولونه أحمر أو أسود أو أصفر أو بني، وتمتلك بعض أجناسه بريقًا معدنيًّا[١].

ومفرد النَّمل نملة، والجمع نمال، يقال: أرض نملة أي: ذات نمل، وطعام منمول: إذا أصابه النمل، ويقال رجل نمل بمعنى نمَّام، وكنيته أبو مشغول، والنملة: أم نوبة وأم مازن، وسميت النملة نملة لتنملها، وهو كثرة حركتها، وقلة قوائمها، ويقال في المثل العربي: ما عسى أن يبلغ عض النمل، يضرب لمن لا يبالي بوعيده، ويقال أيضا: أحرص من نملة، وأروى من نملة، لأنها تكون في الفلوات فلا تشرب ماء، ويقال: أضعف وأكثر وأقوى من النمل[٢] ويقال: جاؤوا مثل النمل[٣] كناية عن كثرة العدد.

يقول العلامة محمد الطاهر بن عاشور رحمة الله عليه في بيان معنى النمل" والنمل: اسم جنس لحشرات صغيرة ذات ست أرجل تسكن في شقوق من الأرض، وهي أصناف متفاوتة في الحجم، والواحد منه نملة بتاء الوحدة، فكلمة نملة لا تدل إلا على فرد واحد من هذا النوع دون دلالة على تذكير ولا تأنيث، فقوله: نملة مفاده: قال واحد من هذا النوع.

واقتران فعله بتاء التأنيث جرى على مراعاة صورة لفظه لشبه هائه بهاء التأنيث، وإنما

---

(١) انظر: على الرابط التالي : https://mawdoo3.com/

(٢) موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، لعبد اللطيف عاشور، صـ ٤١٢، بدون بيانات.

(٣) الحيوان للجاحظ، ٤ / ٢٧٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الثانية، سنة ١٤٢٧ هـ.

هي علامة الوحدة، والعرب لا يقولون: مشى شاة، إذا كان الماشي فحلًا من الغنم، وإنما يقولون: مشت شاة، وطارت حمامة، فلو كان ذلك الفرد ذكرًا، وكان مما يفرق بين ذكره وأنثاه في أغراض الناس وأرادوا بيان كونه ذكرًا قالوا: طارت حمامة ذكر، ولا يقولون طار حمامة؛ لأن ذلك لا يفيد التفرقة، ألا ترى أنه لا يصلح أن يكون علامة على كون الفاعل أنثى "[1].

ومن طبائع هذه الحشرة الصغيرة الحجم، العديمة الفائدة في نظر كثير من الناس ما يلي:

النمل عظيم الحيلة في طلب الرزق والبحث عنه، فإذا وجد شيئًا أعلم الباقين ليأتوا إليه، واحتكاره لقوته من زمن الصيف لزمن الشتاء، وإذا احتكر ما يخاف إنباته قسمه إلى نصفين، ومن طبعه أنه يتخذ القرية تحت الأرض، وفيها منازل ودهاليز، وغرف وطبقات معلقة يملؤها حبوبًا وذخائر للشتاء[2].

ورد في الموسوعة الذهبية: " ويعيش النمل جماعات توزع العمل بين أفرادها، ففي القرية يقوم شخص بعمل الطبيب، بينما يتولى ثان أعمال الزراعة، ويختص ثالث بأعمال الشرطة وحفظ الأمن، وهناك آلاف من أنواع النمل تنتشر انتشارًا واسعًا في أنحاء العالم، منها: النوع الفرعوني الواسع الانتشار في جمهورية مصر العربية، وكثير من بقاع العالم.

والنمل من الحشرات، ولكنه ينتمي إلى الحشرات الاجتماعية، نظرا لطريقته الخاصة في الحياة، وأنواعه كلها تعيش في جماعات أو مستعمرات، ولا تعيش أنواع النمل كلها في باطن الأرض، فالنمل النجار، أو نمل الخشب يعيش في الأشجار الجافة، كما أن بعض أنواع النمل تحتل منازل الناس.

وتمر أنواع النمل جميعها بأربع مراحل في تاريخ حياتها، فهي تكون في أول الأمر بيضًا، ثم تصبح يرقاتٍ ضئيلة الحجم، شبيهة بالديدان، تتحول إلى عذارى، ثم إلى النمل البالغ أخيرًا.

---

(١) التحرير والتنوير ١٩ / ٢٤١ .

(٢) انظر على الرابط التالي: https://www.alkhaleej.ae/

وكثير من أنواع النمل تربي أبقارًا، فأبقار نمل حقول الذُّرة مثلًا هي حشرات المن التي تسمى خطأ قمل النبات، وهي تدر قطيرات من سائل حلو المذاق يشبه العسل حين تحتلب، وهناك أنواع أخرى من النمل تتخذ من نطاط الشجر وبعض الخنافس أبقارا لها(١).

ويمتلك النمل قدرة التواصل، فيستطيع السمع عن طريق الشعور بالاهتزازات من الأرض عن طريق أقدامه، وهو لا يمتلك آذانًا، وتستطيع بعض أنواعه التي لا تمتلك عيونًا مثل النمل السائق (بالإنجليزية driver ant) التواصل فيما بينها باستخدام قرون الاستشعار الخاصة بها.

يتواصل النمل فيما بينه بشكل رئيسي باستخدام المواد الكيميائية والتي تستطيع الإحساس بها عن طريق قرون الاستشعار، حيث يستطيع إرسال إشارات كيميائية يطلق عليها اسم الفرمونات (بالإنجليزية pheromones) يتم إطلاقها من خلال أجسامها لتبادل الرسائل فيما بينها، تشمل تحذيرات عند الشعور بالخطر، كما يترك النمل مسارات من الفرمونات لتدله على مسارات البحث عن الطعام، كما يتم استخدام الفرمونات لجذب الجنس الآخر للتزاوج.

كما يمكنه التواصل عن طريق التلامس والاهتزازات، ويستطيع أفراد المستعمرة الواحدة من النمل معرفة بعضهم البعض عن طريق المواد الكيميائية الموجودة على أجسامهم، ويكون جسم الملكة في العادة مغطى بخليط مميز من المواد الكيميائية التي تعلن عن وجودها، وقد يصدر في بعض الأحيان أصواتًا للتواصل حيث يمكنه إصدار صرير عن طريق حك أجزاء من جسمه ببعضه البعض(٢).

---

(١) موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، صـ ٤١٢ -٤١٣ .

(٢) انظر: على الرابط التالي: https://mawdoo3.com/

المبحث الثاني

كيف يعيش النمل؟

يعيش النمل في مستعمرات كبيرة تضم ملكة أو اثنتين، تكمن وظيفتها في وضع البيض حيث تضع آلافا من البيضات التي تضمن استمرار الحياة في المستعمرة، كما تضم المستعمرة أعدادًا كبيرة من الإناث العاملات لرعاية الملكة، والمحافظة على العش وبنائه، وجمع الطعام، ورعاية الصغار، ولا تمتلك تلك العاملات أجنحة، وهي الأفراد التي يراها الإنسان عادة خارج المستعمرة، ويمتلك الذكور أجنحة وتتمثل وظيفتهم الوحيدة في التزاوج مع الملكة[1].

ويتكون جسم النمل من ثماني أرجل، أي زوجين في كل جزء من أجزاء النمل الثلاثة، وللنمل هيكل عظمي خارجي صلب، يتكسر بسرعة عند تعرضه للضغط، ويعيش في جميع قارات العالم عدا القارة المتجمدة الجنوبية، ويمتلك فكين خارجيين يستخدمهما للحفر في الأرض وحمل الطعام، بينما يستخدم الفكين الداخليين في المضغ، وتمتلك النملة الرصاصة، بالإنجليزية (bullet ant) القرصة الأكثر إيلاما في العالم، وهي تعيش في الغابات الرطبة مثل الأمازون، ويمكن مقارنة ألمها بالألم الناتج عن الإصابة برصاصة، ويؤدي النمل وظائف عديدة مهمة للإنسان، مثل تناول الحشرات، وتلقيح النباتات، ونشر البذور، وتحريك التربة، ونشر المواد الغذائية، ويتناول عناصر من النباتات ومن الحيوانات، وتعود النملة في العادة إلى النملات الأخريات في المستعمرة عند عثورها على قطعة كبيرة من الطعام لطلب المساعدة منهن، تاركة وراءها أثرا من الرائحة لتدلها على طريق العودة إليه، ويختلف شكل الرأس والفك من نملة لأخرى، كما يختلف حجم العينين، ويمكن الاستدلال على نمط الحياة والنظام الغذائي لكل نوع من الأنواع عن

---

(١) انظر: على الرابط التالي: https://mawdoo3.com/

طريق النظر إليها[١].

أما نشاط النمل: فتختلف أنواع النمل في أوقات نشاطها خارج مستعمراتها، فكثير منهم ينشط في الليل، وبعضهم في النهار، وينشط العمال منهم داخل العش إذا كان دافئا بما فيه الكفاية حيث ينجزون بعض الأعمال مثل: توسيع المستعمرة، وجمع الطعام، والتخلص من النفايات، وحماية المستعمرة من الحيوانات المفترسة والطفيليات، وغالبا ما يحمل النمل الطعام والماء عن طريق البلع، والاحتفاظ بها في معدة منفصلة، ثم تتقيؤها لمشاركتها مع الآخرين، كما تترأس مستعمرات النمل ملكة أو ملكات تكون وظيفتها وضع الآلاف من البيض لضمان بقاء المستعمرة، بالإضافة إلى أن العمال من الإناث من غير أجنحة ولا تتكاثر أبدًا.

وبالنسبة لطعام النمل: فإن طعامه يختلف حسب أنواعها، حيث يوجد بعض الأنواع التي تتغذى على السوائل السكرية، مثل: الرحيق، والمادة السكرية التي تنتجها المن والحشرات الأخرى، والحيوانات الصغيرة، والبعض الآخر يتغذى على البذور أو الفطريات، بالإضافة إلى أن النمل يشرب من قطرات الندى أو البرك، وأحيانا تكتفي بالطعام الرطب كالرحيق.

أما بالنسبة لمدة حياة النمل: فيمكن للملكة أن تعيش عدة سنوات، وقد يعيش العمال لمدة عام، ولكن الكثير منهم يعيشون لبضعة أشهر فقط، كما يموت الذكور عند تزاوجهم، لذلك فهم يعيشون بضعة أسابيع[٢].

(١) انظر: على الرابط التالي: https://mawdoo3.com/

(٢) انظر: على الرابط التالي: https://mawdoo3.com/

المبحث الثالث

فوائد النمل وأضراره وعجائبه

للنمل فوائد كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أولًا: قرص النمل يؤدي إلى تنشيط الدورة الدموية، وزيادة عدد الكريات الحمراء مما يؤدي إلى زيادة نشاط الجسم وحيويته.

ثانيًا: تنشط الخلايا العصبية الموجودة في الدماغ.

ثالثًا: يصبح الجلد أكثر مقاومة للبكتيريا، وأكثر تحملا لدرجات الحرارة المرتفعة.

رابعًا: قرص النمل يؤدي إلى تخثر الدم، مما يجعل الأوعية الدموية أكثر مقاومة للسموم.

خامسًا: قرصة النملة الأنثى تؤدي إلى إفراز اللعاب الأيوني، والذي يقوم بحرق الدهنيات الموجودة في العضو المقروص.

سادسا: يفيد قرص النمل لمرضى الرماتزيوم ولحالات الحساسية، كما يقلل من التورم، ويخفف من حالات الربو.

سابعا: يعالج الملاريا والجلطة الدماغية.

ثامنا: يحتوي على أكثر من خمسين مادة غذائية مفيدة لصحة الجسم[1] هذا بالنسبة لفوائده.

أما بالنسبة لأضراره: فإن النمل يقوم بتوجيه عدة عضات إلى جسم الإنسان تسبب له قلقًا بسيطًا بسبب ألم العضة، وذلك نتيجة التعرض للمواد الكيميائية الكاوية مثل: حمض الفورميك أو النمليك، الذي ترشه النملة على الجسم بعد عضه، مما يؤدي إلى

(١) انظر: على الرابط التالي: https://mawdoo3.com/

ظهور أعراض شديدة وخطيرة مثل الحكة والإثارة، والألم والتورم، لكن قد تكون عضات بعض أنواع النمل خطيرة في بعض الحالات، مثل الأشخاص المصابين بالحساسية، حيث يمكن أن تكون الأعراض أكثر شدة، وقد تنقلب إلى أعراض قاتلة مثل صعوبة التنفس، أو سرعة النبض، أو صعوبة الكلام، أو الخدل، والتفكك، أو الغثيان، والدوار، والتقيؤ، أو التورم المفرط مما يهدد حياة الإنسان(١).

أما عجائبه فكثيرة أيضا، نذكر منها على سبيل المثال بعض ما يلي:

وجود النمل قديم جدًا على كوكب الأرض، حيث وجد منذ اثنين وتسعين مليون عام، ويشكل حوالي عشرين في المائة من الأحياء التي تعيش على الأرض، حيث يقابل الإنسان الواحد مليون نملة، ويمتلك دماغًا يتكون من فصين، إذ إنه قادر على التفكير والتحليل، وتضع ملكة النمل الإفريقية أربعة ملايين بيضة في الشهر الواحد، كما أنها تعمر عشرين عاما وتوجد أكبر نملة على مستوى العالم في غابات الأمازون حيث يبلغ حجمها حجم أصبع السبابة، كما يطلق عليها اسم النملة الرصاصة.

ويتميز النمل بامتلاكه قدرة العيش في الصحراء، إذ إنه يتحمل حرارة مائة درجة مئوية، ويحيك النمل في الغابات الاستوائية الأوراق مع بعضها بطريقة اللصق من أجل تحويل ورقة الشجرة إلى عش مكتمل.

كما يقسم الحبوب التي يجمعها إلى شطرين حتى لا تنمو داخل العش، وبذلك يعتبر النمل من الكائنات الذكية، ويعتبر أيضًا من أشرس الكائنات الموجودة على الأرض، فيوجد العديد من النملات الانتحاريات التي تضغط على بطنها في حالة محاصرتها ليتفجر منها كيس من السم.

وينشر النمل عند الموت رائحة خاصة تعرف باسم حمض الزيتيك أو الأوليك من أجل أن تنبه بقية النمل على ضرورة الإسراع في دفنه، قبل أن تنجذب له الحشرات الغريبة،

(١) انظر: على الرابط التالي: https://mawdoo3.com/

وهو من الحشرات الاجتماعية، حيث إنه يعيش في المستعمرات، ولا يستطيع العيش منفردا.

ويشتهر النمل بعدم المقدرة على بلع الطعام الصعب، بل يخزنه في جراب التخزين الواقع في مؤخرة فك كل نملة، ثم يفتته من خلال اللعاب القوي[1] فسبحان الله أحسن الخالقين.

وفي كـلِّ شـيءٍ لـه آيـةٌ تـدُلُّ عـلى أنَّـه واحـد.

ولو أنك جلست في مكان، وتركت فيه بعض فضلات الطعام مثلًا أو الحلوى لرأيت بعض النمل يدور حولها دون أن يقربها، ثم ينصرفون، وبعد مدة ترى جماعة منهم جاءت وحملت هذه القطعة، وكأن الجماعة الأولى أفراد الاستطلاع الذين يكتشفون أماكن الطعام، ويقدرون كم نملة تستطيع حمل هذا الشيء، بدليل أنك لو ضاعفت القطعة الملقاة لرأيت عدد النمل الذي جاء لحملها قد تضاعفت هو أيضا، ولو قتلت النمل الأول الذي جاء للاستطلاع تلاحظ أن النمل يمتنع عن هذا المكان، لماذا؟ لأن النملة التي نجت من القتل ذهبت إلى مملكتها، وحذرتهم من هذا المكان.

وفي مملكة النمل عجائب وآيات، سبحان خالقها، وسبحان من هداها إلى هذه الهندسة المحكومة بالغريزة.

ومن عجائب النَّمل أنك ترى في عش النمل الحبوب مفلوقة إلى نصفين حتى لا تنبت، وتهدم عليهم عشهم، لكن حبة الكسبرة مثلا تنبت حتى لو انفلقت نصفين، حيث ينبت كل نصف على حدة، لذلك لا حظوا أن النَّمل يفلق هذه الحبة بالذات إلى أربعة أقسام.

كما لاحظ المهتمون بدراسة النمل وجود حبات بيضاء صغيرة مثل رأس الدبوس أمام أعشاش النمل، وبفحصها تبين أنها زريعة النبات التي تحمل خلايا الإنبات أخرجوها

---

(١) انظر: على الرابط التالي: https://mawdoo3.com/

كي لا تنبت، وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ﴿٣٨﴾ ﴾[١] ...[٢].

ومن عجائب النمل أنه لا يحب الكذب بل يقتل الكاذب، ويحكىٰ عن بعض الأشخاص أنه كان في فلاة يتناول طعاما فسقطت منه فتاتة، فإذا بنملة تأتي، ومن العجيب في شأن النمل والذباب أنك تكون في مكان لا نمل فيه ولا ذباب البتة، فإذا أخرجت طعامًا وسقط منه شيء علىٰ الأرض فسرعان ما تجد نملة عندك، أو ذبابة تحوم حولك، فتلك النَّملة هي رائدة القوم، فإنْ استطاعت أن تحمل ما سقط علىٰ الأرض أخذته بفيها وذهبتْ إلىٰ جحرها، وإن لم تستطع أخذت قليلًا منه إن أمكنها، وذهبت إلىٰ جحرها، واستدعت جماعة يتعاونون علىٰ هذا الطعام الصغير، ويحملونه إلىٰ الجحر، فهذا الشخص سقطت منه فتاتة، فجاءت النملة تحملها فما قدرت فذهبت، ولم تلبث أن جاءت بمجموعة من النمل، ففطن أنها ذهبت تدعوهم، فلما اقتربوا من تلك الفتاتة حملها هذا الرجل، فأخذ النمل في البحث في المنطقة فما وجد شيئا فرجع، ثم وضعها بعد ذلك، فجاءت نفس النملة ووجدتها، فرجعت إلىٰ جماعتها، فجاءت فحمل الرجل تلك الفتاتة، وفي المرة الثالثة لما لم يجدوا تلك الفتاتة جاءوا إلىٰ النملة التي أخبرتهم وقتلوها؛ لأنها كذبت عليهم.

ومن عجائبه أنه يحب التنظيم والنظام، فهو ينظم عمله، وينظم جماعته، ولديه ترتيب في بيضه، وفي حضانته، وفي غير ذلك، حتىٰ قال بعض الناس: إنه يختزن طعامًا يكفيه عدة أعوام[٣] وأما بالنسبة لأنواعه فكثيرة أيضًا، نذكر منها علىٰ سبيل المثال ما يلي:

---

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ٣٨.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي الموسوم بــ: الخواطر، ١٧ / ١٠٧٦٠ .

(٣) انظر: شرح بلوغ المرام، للشيخ عطية محمد سالم، الدرس رقم ١٠٩، صـ ١٠، ومصدره دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، وهو مرقم آليًّا، ورقم الجزء هو رقم الدرس ٢٣١ درسًا.

النملة الناسجة: وتعيش في غابات أستراليا المطيرة بين الأشجار، ويبلغ طولها ستة مليمترات، وتبني مملكتها من أوراق الشجر.

النمل الأبيض: ويعيش ضمن مستعمرات مبنية من جزئيات التربة، ويسمى بيت النمل بـــ: وادي النمل أو مدينة النمل، ويوجد أكبر عش للنمل الأبيض في أستراليا.

النملة المزارعة: وتعيش في غابات الأمازون الاستوائية، وتعمل هذه النملة في الزراعة منذ ملايين الأعوام.

نمل العسل: ويتغذى على فضلات العديد من الحشرات المتطفلة على أوراق النبات، وتكون فضلاتهم غنية بالمواد السكرية[1].

---

(١) انظر: على الرابط التالي: https://mawdoo3.com/

المبحث الرابع

الأحاديث النبوية التي وردت بشأن النمل

لقد ورد ذكر النمل في جملة حسنة من أحاديث الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

الحديث الأول: عن أبي علي رجل من بني كاهل قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال: يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل، فقام إليه عبد الله بن حزن، وقيس بن المضارب فقالًا: والله لتخرجن مما قلت أو لنأتيَّنَ عمر مأذون لنا أو غير مأذون، قال: بل أخرج مما قلت، خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: " أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له: من شاء الله أن يقول وكيف نتقيه، وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم "(١).

الحديث الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قرصت نملة نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح؟! "(٢).

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، وأمر بها فأحرقت في النار، فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة "(٣).

الحديث الرابع: عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٢ / ٣٨٤، رقم ح (١٩٦٠٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٥ / ١٢٦، رقم ح (٩٢٢٩).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب النهي عن قتل النمل، رقم ح (٢٢٤١).

وسلم رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال: إن الله وملائكته، وأهل السموات، وأهل الأرضين حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير "(١) قال الترمذي: (حديث صحيح).

الحديث الخامس: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تقتلوا النملة، فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقي فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها، رافعة قوائمها، تقول: اللهم إنا خلق من خلقك لا غنى لنا عن فضلك، اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين، واسقنا مطرا تنبت به شجرا، وتطعمنا ثمرا، فقال سليمان لقومه: ارجعوا فقد كفيتم وسقيتم بغيركم "(٢).

والحديث يشير إلى أن نبي الله سليمان عليه السلام كان يفهم لغة النمل، وفيه: " دلالة على أن الاستسقاء شرع قديم والخروج له كذلك وفيه أنه يحسن إخراج البهائم في الاستسقاء، وأن لها إدراكًا يتعلق بمعرفة الله، ومعرفة بذكره، وتطلب الحاجات منه، وفي ذلك قصص يطول ذكرها، وآيات من كتاب الله دالة على ذلك، وتأويل المتأولين لها لا ملجأ له "(٣).

يقول العلامة عطية محمد سالم رحمة الله عليه في معرض شرحه للحديث: " هذا الحديث يستوقف كل مسلم وقفة طويلة، لا للاستسقاء فحسب، ولكن للتأمل في عجائب قدرة الله، وللتأمل فيما وهب الله لأصغر مخلوقاته من معرفته سبحانه، وما أهمه وجعل فيه من غرائز تفوق عقل الإنسان في تصرفاته وعقائده، وهذا الحديث يمكن أن يدخله العلم في عدة أبواب، فمثلًا في الأصول يدخل في مسألة شرع من قبلنا هل هو شرع لنا؛ لأن النبي

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم ح (٢٦٨٥).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي ملا القاري ٧ / ٢٦٨٢، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: ١ سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، ولم أقف على تخريجه بهذا اللفظ.

(٣) سبل السلام للأمير الصنعاني، ١ / ٤٥٥، الناشر: دار الحديث بدون سنة الطبعة.

صلى الله عليه وسلم يذكر لنا ما وقع لمن كان قبلنا، وهو نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ...، وها هو صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق يخبرنا بأن نبيًّا قبلنا، وهو نبي الله سليمان خرج يستسقي، فالاستسقاء قديم في الأمم الماضية، وهو دأب المسلمين الذين يعلمون بأنه لا يسوق الخير إلا الله، ولا يدفع الشر إلا الله، ولا يقوى على إنزال المطر سواه، فخرج نبي الله سليمان يستسقي، أي يطلب السقيا وبمن معه، فإذا به يرى النملة "(١).

وأما كيف رآها وكيف سمعها، فهذا أمر لا يقوى عقل البشر على إدراكه، وإنما عليه أن يؤمن بما وقع، ويترك كيفية وكنه ذلك لله رب العالمين، وإن قيل: كيف يراها على صغرها وهو خارج في جمع من الخلق؟ نقول أيضًا: وكيف سمعها وهو في جنده تقول لقومها ادخلوا مساكنكم، فالله سبحانه وتعالى أعطاه القدرة على رؤيتها وهو في حالته، فلو كان جالسًا أو ماشيًا على قدميه فإنه يتفقد ما تحت رجله، أو ينظر إلى القريب منه، ويمكن أن نقول ذلك في هذه الحالة، لكنه خرج في جمع من أمته يستسقون رب العالمين فكيف رآها؟

وما يهمنا في هذا الحديث هو: أن نبي الله سليمان عليه السلام خرج يستسقي، فإذا به يرى نملة، ولم ير النمل كله، ورأى قوائمها التي تكاد تكون أنحل من الشعر، وهي رافعة قوائمها إلى السماء، ولها ست قوائم، وقد استلقت على ظهرها، وفي هذا رد على من لا يرى رفع اليدين في الدعاء، فهذه نملة تعرف أين تتوجه، وتسأل المولى جل جلاله لا من بطن الأرض، ولا من شرق، ولا غرب، ولكن من السماء من العلو، ترفع قوائمها إلى الله كالذي يرفع يديه مستصرخًا ضارعًا.

ثم يروي لنا أنها قالت بصريح العبارة: اللهم إنا خلق من خلقك، فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك، فهذه نملة وهي أيسر ما تكون تأتي بهذا العمل، فمن أحق باللجوء إلى الله

---

(١) انظر: شرح بلوغ المرام، للشيخ عطية محمد سالم، الدرس رقم ١٠٩، صـ ٩، ومصدره دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، وهو مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس ٢٣١ درسًا.

الإنسان أم هذه الحشرة الصغيرة؟ ومن أحق بالضراعة إليه الإنسان أم هي؟ ومن أحق بالاعتقاد بأن كل شيء بيده سبحانه وتعالى؟، فما كان من نبي الله سليمان عليه السلام إلا أن اكتفى بدعائها، وقال لمن معه: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم[1].

الحديث السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النمل والنحلة والهدهد والصرد "[2].

الحديث السابع: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة[3] معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش[4] فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "من فجع هذه بولدها، ردوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: "من حرق هذه؟، قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار "[5].

---

(١) انظر: شرح بلوغ المرام، للشيخ عطية محمد سالم، الدرس رقم ١٠٩، صـ ٩، ومصدره دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، وهو مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس ٢٣١ درسًا.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب ما ينهى عن قتله، رقم ح (٣٢٢٣) الناشر: دار إحياء الكتب العربية، بدون ذكر سنة الطبع.

(٣) بضم الحاء وتشديد الميم، وقد تخفف: طائر صغير كالعصفور. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ١ / ٤٣٩، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ط: سنة ١٣٩٩هـ.

(٤) التعريش: أن ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٢٠٨

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، باب في كراهية حرق العدو بالنار، رقم ح (٢٦٧٥) الناشر: المكتبة العصرية، صيدا بيروت، بدون ذكر سنة الطبع.

الفصل الثاني

قصة نملة سليمان عليه السلام.

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: أهمية العلم ودوره في بناء المجتمعات.

المبحث الثاني: توارث الأجيال للعلم.

المبحث الثالث: أهمية وضرورة تعلم لغات الأمم الأخرى.

المبحث الرابع: توفير الإمكانات وحسن إدارتها والتصرف فيها بحكمة وتعقل.

المبحث الخامس: استشعار كل فرد من أفراد المجتمع دوره في تحقيق النهوض الحضاري.

المبحث الأول

أهمية العلم ودوره الحضاري في بناء المجتمعات

لقد افتتح الباريء سبحانه وتعالىٰ قصة نملة سليمان عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليمات بهذه الآية القرآنية الفريدة التي تحمل في طياتها دعوة حية إلىٰ العلم وبيان أهميته، وضرورة الاعتناء به، والسعي الدؤوب لتحصيله والتفوق فيه علىٰ جميع أمم الأرض، ودوره الفعال في بناء الأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم، حيث يقول جل وعلا في محكم تنزيله ممتنًا علىٰ نبييه الكريمين داود وابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام بنعمة العلم والاصطفاء للنبوة وأداء الرسالة: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فهذه الآية الكريمة: " هي إشارة البدء في القصة، وإعلان الافتتاح، خبر تقريري عن أبرز النعم التي أنعم الله بها علىٰ داود وسليمان عليهما السلام نعمة العلم، فأما عن داود فقد ورد تفصيل ما آتاه الله من العلم في سور أخرىٰ.

منها تعليمه الترتيل بمقاطع الزبور، ترتيلًا يتجاوب به الكون من حوله، فتؤوب الجبال معه والطير لحلاوة صوته، وحرارة نبراته، واستغراقه في مناجاة ربه، وتجرده من العوائق والحواجز التي تفصل بينه وبين ذرات هذا الوجود، ومنها تعليمه صناعة الزرد وعدة الحرب، وتطويع الحديد له ليصوغ منه من هذا ما يشاء، ومنها تعليمه القضاء بين الناس مما شاركه فيه سليمان.

وأما سليمان ففي هذه السورة تفصيل ما علمه الله من منطق الطير، وما إليه بالإضافة إلىٰ ما ذكر في سور أخرىٰ من تعليمه القضاء، وتوجيه الرياح المسخرة له بأمر الله.

تبدأ القصة بتلك الإشارة: ولقد آتينا داود وسليمان علمًا، وقبل أن تنتهي الآية يجيء شكر داود وسليمان علىٰ هذه النعمة، وإعلان قيمتها وقدرها العظيم، والحمد لله الذي

فضلهما بها على كثير من عباده المؤمنين، فتبرز قيمة العلم، وعظمة المنة به من الله على العباد، وتفضيل من يؤتاه على كثير من عباد الله المؤمنين "[1].

هذا، وقد ذكر الإمام أبو الحسن الماوردي رحمة الله عليه في تفسير (علمًا) ستة أوجه:

أحدها: فهمًا، ونسبه إلى قتادة رحمه الله،

والثاني: صنعة الكيمياء، ووصفه بالشذوذ.

الثالث: فصل القضاء.

الرابع: علم الدين.

الخامس: منطق الطير.

السادس: بسم الله الرحمن الرحيم[2].

وأرى أن الآية الكريمة تشمل الأوجه الستة المذكورة وغيرها مما لم يذكر، فالآية لم تبين نوع العلم وموضوعه الذي يناقشه ويعالجه، وإنما ورد مطلقًا من كل قيد ليشمل كل العلوم والمعارف التي تعود بالنفع على العباد في دنياهم وأخراهم، وعليه فإن المراد بالعلم في هذا الموضع جنسه، وهو المقصود: " بالإبراز والإظهار، وللإيحاء بأن العلم كله هبة من الله، وبأن اللائق بكل ذي علم أن يعرف مصدره، وأن يتوجه إلى الله بالحمد عليه، وأن ينفقه فيما يرضي الله الذي أنعم به وأعطاه، فلا يكون العلم مبعدًا لصاحبه عن الله، ولا منسيًا له إياه، وهو بعض مننه وعطاياه، والعلم الذي يبعد القلب عن ربه علمٌ فاسدٌ، زائغٌ عن مصدره وعن هدفه، لا يثمر سعادة لصاحبه ولا للناس، إنما يثمر الشقاء

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب، ٥/ ٢٦٣٣، الناشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط: ١٧ سنة ١٤١٢هـ.

(٢) النكت والعيون للإمام الماوردي، ٤ / ١٩٨، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة الطبع.

والخوف والقلق والدمار؛ لأنه انقطع عن مصدره، وانحرف عن وجهته، وضل طريقه إلى الله.

ولقد انتهت البشرية اليوم إلى مرحلة جيدة من مراحل العلم بتحطيم الذرة واستخدامها، ولكن ماذا جنت البشرية حتى اليوم من مثل هذا العلم الذي لا يذكر أصحابه الله، ولا يخشونه، ولا يحمدون له، ولا يتوجهون بعلمهم إليه؟ ماذا جنت غير الضحايا الوحشية في قنبلتي هيروشيما وناجازاكي، وغير الخوف والقلق الذي يؤرق جفون الشرق والغرب ويتهددهما بالتحطيم والدمار والفناء "(١).

ومناسبة هذه القصة لقصة فرعون هي: أن الله سبحانه وتعالى يبتلي بنعمه من يشاء من عباده، فمنهم من يكفر بهذه النعم، ويتخذ منها أسلحة يحارب بها في مواقع الحق والخير، ويضرب بها في وجه المحقين والأخيار من عباد الله، ومنهم من يتلقى هذه النعم بالشكران لله، والولاء لطريق الله، ولمن يسلك هذا الطريق من عباده.

فهذا فرعون يمكن الله له في الأرض، ويبسط له الرزق، فيتحول من إنسان إلى شيطان مريد، وإلى إعصار عاصف، يأتي على كل ما يزرع في منابت الحق والخير، ثم يبعث الله إليه نبيًّا كريمًا، يحمل إليه دعوة كريمة في رفق ولين، حتى إن الله سبحانه وتعالى كرمًا منه وفضلًا يوصي رسوله أن يتلطف، ويترفق بهذا الإنسان، الذي ملأ الغرور قلبه، واستبد به الكفر ....، فيلقى هذا النداء الكريم، وهذا اللطف اللطيف بهذا العناد اللئيم ....، وعلى غير هذا تمامًا، كان موقف عباد الله المؤمنين، الذين يعرفون لله قدره، ويذكرون له فضله، ومن هؤلاء داود وسليمان عليهما السلام.

لقد آتاهما الله خير ما يؤتى الإنسان من فضل وإحسان، وهو العلم، الذي من ملكه ملك أقوى ما على هذه الأرض من قوة، يستطيع بها أن يستولي على سلطان هذا العالم كله، ومع هذا فإنهما استقبلا هذه النعمة الجليلة العظيمة بالحمد والشكر، والولاء لله

(١) في ظلال القرآن، ٥ / ٢٦٣٤ .

وخفض الجناح لعباد الله، ولكل ما خلق الله[1].

يقول العلامة الشيخ عبدالحميد كشك رحمه الله في معرض تفسيره للآية الكريمة: " وفي الآية إخبار منه تعالى عن أنه بفضله وكرمه قد أتى عبديه داود وسليمان علمًا، وأشرف العلم علم الوحي المعصوم، فقد أنعم عليهما بالنبوة والملك، فكانا نبيين ملكين، وفي هذا الباب مراتب لا تحصى ومراق لا تستقصى، ولقد قابلا هذا العلم والفضل العظيم بالحمد لله صاحب الإنعام والكرم والجود والسخاء، حمداه على تفضيله لهما على كثير من عباده المؤمنين، وتوفيق العبد للحمد في حاجة إلى حمد، فنعمة التوفيق لا تعدلها نعمة، والله لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا، ولا صلينا، فيا رب كيف أشكرك وتوفيقك لي أن أشكرك في حاجة إلى شكر؟ "[2].

هذا، وقد أومأ علامة الزيتونة وشيخها الجليل محمد الطاهر بن عاشور رحمة الله عليه إلى ملحظين لطيفين يتعلقان بتلك الآية الكريمة:

أولهما: قوله: " وتنكير علمًا للتعظيم؛ لأنه علم بنبوءة وحكمة؛ كقوله في صاحب موسى وعلمناه من لدنا علمًا "[3] ويعني بصاحب موسى الخضر عليهما السلام.

ثانيهما: قوله: " وفي فعل آتينا ما يؤذن بأنه علم مفاض من عند الله؛ لأن الإيتاء أخص من علمناه؛ فلذلك استغني هنا عن كلمة من لدنا، وحكاية قولهما الحمد لله الذي فضلنا كناية عن تفضيلهما بفضائل غير العلم، ألا ترى إلى قوله: على كثير من عباده المؤمنين، ومنهم أهل العلم وغيرهم، وتنويه بأنهما شاكران نعمته، ولأجل ذلك عطف قولهما هذا

(١) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، ١٠ / ٢٢٥، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، بدون سنة الطبع.

(٢) في رحاب القرآن، ١٩ / ٣٥٠٦

(٣) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، ١٩ / ٢٣٤، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ط: سنة ١٩٨٤م.

بالواو دون الفاء؛ لأنه ليس حمدًا لمجرد الشكر على إيتاء العلم "[1].

وعليه، فإن إيتاء العلم من جلائل النعم، وفواضل المنح يستدعي إحداث الشكر أكثر مما ذكر، فجيء بالواو لأنها تستدعي إضمارا فيضمر ما يقتضيه موجب الشكر من قوله فعملا به وعلماه فإنه شكر فعلي[2].

وتدل الآية الكريمة على شرف العلم، وإنافة محله، وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم، وأجزل القسم، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلًا على كثير من عباد الله ...، وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ورثة الأنبياء " إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة؛ لأنهم القوّام بما بعثوا من أجله، وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها: أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم، وفيها التذكير بالتواضع، وأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم، وما أحسن قول عمر رضي الله عنه: كل الناس أفقه من عمر[3] فالعلم مفتاح كل خير ونجاح، وتقدم ورقي، وفلاح في الدنيا والآخرة.

وأما ثمرة هذا العلم في بناء الدولة ونهضتها وتقدمها، ودوره في عملية التفوق الحضاري، فتلك هي السيطرة على قوانين الطبيعة وقواها المختلفة ليسخرها أهله في منافع الدولة، فالملك يقوم على دعامتين كبيرتين أصيلتين هما: القوة والعلم، فالقوة تجمع قوة الأبدان، وكثافة الجنود المدربين، ووفرة الأسلحة والآلات، والعلم هو نور القلوب والعقول، وهو الوسيلة إلى معرفة قوانين الوجود وسنن الطبيعة لتسخير ما يمكن تسخيره منها في منافع الدولة، وهذا هو العلم النافع، وهو العلم بالله عز وجل، وهو أصل صالح من أصول الدولة، ذكره الله عز وجل في مواضع كثيرة من كتابه: ﴿ وَقَالَ

---

(١) التحرير والتنوير، ١٩ / ٢٢٤ .

(٢) روح المعاني للإمام الآلوسي، ١٠ / ١٦٥، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١٥هـ.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للإمام الزمخشري، ٣ / ٢٥٣، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٣ سنة ١٤٠٧هـ. .

لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[١] ولكن الله عز وجل لم يقف بنا عند حد الترسيم والوصف النظري لمقومات الملك، بل ذكر لنا ملكًا عمليًّا، ودولة نموذجية؛ لنرى هذه الصفات حقائق ماثلة للعيان، في معالم ملكها الشامخ، فنحتذي حذوها على بصيرة، فإن لم نبلغ هذا المثال - ولن نبلغه -فلنحقق منه ما تتسع به الطاقة[٢].

وأخيرًا: فقد استنبط الشيخ العلامة أبو بكر الجزائري رحمه الله من تلك الآية الكريمة وجوب الشكر على النعم[٣] الربانية، فالشكر سبب لدوام النعم وازديادها وبقائها، وكفرانها سبب لنقصانها بل محوها وإزالتها.

فاللهم اجعلنا من الشاكرين لآلائك، الصابرين على بلائك، الناصرين لأوليائك، وأن لا تحرمنا خير ما عندك بسوء ما عندنا، وأن ترفع غضبك ومقتك عنَّا، وإنا نسألك يا ربنا شكر الصابرين لك، وصبر الشاكرين لك.

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٤٧ .

(٢) في رحاب التفسير، ١٩ / ٣٥٢٢ -٣٥٢٣ .

(٣) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للشيخ أبي بكر الجزائري، ٤ / ١٣، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: ٥ سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

المبحث الثاني

توارث الأجيال للعلم

كي يستمر الخير والبذل والعطاء في الأمة من غير انقطاع ولا توقف، ويتواصل الإبداع والابتكار والتقدم فلا يتعثر ويخبو، لا بد للأجيال اللاحقة من توارث علوم الأجيال السابقة، بحيث يرث الخلف علم السلف ويزيد عليه ويهذبه ويصلح ما فيه من خلل، يستفيد من خبرات ذلك السلف وإيجابيَّاته وحسناته الكثيرة الخيرة، ويتجنب أخطاءه وثغراته وهفواته؛ فإن الكمال المطلق لله وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله الكرام عليهم أفضل الصلوات وأزكى التسليمات، لا بد أن يرث الأبناء علم آبائهم وأجدادهم، ويستفيدوا ممن سبقهم في مسألة البناء الثقافي والبعث الحضاري للأمة، وقد أشار إلى هذا الملحظ نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين "(١).

والمقصود بهذا الحديث أن علم الكتاب والسنة يحمله من كل قرن يخلف السلف عدوله، أي يرثه من كل قرن يخلف السلف ثقاته وخياره، أي من كان عدلًا صاحب تقوى وديانة، فهم أمناء على دين الله ووحيه وشرعه، يطردون ويبعدون عن هذا العلم القيم الجليل النقي الطاهر تحريف الغالين، أي الغلاة المبتدعة المتشددون المتنطعون، الذين يتجاوزون مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم في فهم نصوص الوحيين الكريمين وفي التطبيق العملي لها، فيحرفون الكلم عن موضعه، ويدخلون في هذا الدين ما ليس منه، كما قال رسول الهدى محمد عليه الصلاة والسلام: " من أحدث في أمرنا هذا

---

(١) شرح مشكل الآثار للإمام الطحاوي ١٠ / ١٧، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١ سنة ١٤١٥هـ.

ما ليس منه فهو رد "[1] وفي رواية: " من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد "[2] وقوله: وانتحال المبطلين، يعني ادعاءاتهم الكاذبة الزائفة التي لا تستند إلى أدنى برهان، أو أثارة من علم، وتأويل الجاهلين لبعض آي القرآن الكريم، ونصوص السنة النبوية المشرفة، وقد علق الإمام النووي رحمة الله عليه على هذا الحديث الشريف بقوله: " وهذا إخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة العلم وحفظه، وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفًا من العدول يحملونه، وينفون عنه التحريف وما بعد فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر، وهكذا وقع ولله الحمد، وهذا من أعلام النبوة، ولا يضر مع هذا كون بعض الفساق يعرف شيئًا من العلم، فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف شيئًا منه، والله أعلم "[3].

وعليه، فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يخبرنا في هذا الحديث أن العلم الشرعي المتمثل في الكتاب والسنة، وما انبثق عنهما من علوم ومعارف وكنوز وذخائر إنما يهبه الرب سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده، ويحمله في كل قرن وجيل من أجيال هذه الأمة المباركة على مر الدهور والليالي والأزمان أعدل الناس وثقاتهم عن غيرهم من أهل زمانهم، وهذا يدل على أهمية العلم، وضرورة توارثه يرثه الجيل اللاحق عن الجيل السابق، ويعتني به، ويدرسه دراسة علمية فاحصة ناقدة بغية الاستفادة من كنوز هذا العلم وخيراته وذخائره، وتقويم ما وقع فيه من خلل أو خطأ غير مقصود ولا متعمد، وإنما هو محض

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم ح (٢٦٩٧) الناشر: دار طوق النجاة، ط: ١ سنة ١٤٢٢هـ، وأخرجه مسلم في صحيحه في باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم ح (١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع، وأخرجه مسلم في صحيحه، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم ح (١٧١٨).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، ١ / ١٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة الطبع.

اجتهاد خالص، وسعي دؤوب لإصلاح الخلق وتعبيدهم لله رب العالمين.

والمتأمل لقصة النمل في كتاب الله يجد هذا الملمح جليًّا واضحًا، حيث يقول الله سبحانه وتعالىٰ في مطلع هذه القصة: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[1] أي ورث علمه ونبوته فانضم علم أبيه إلىٰ علمه، فلعله تعلم من أبيه ما عنده من العلم مع ما كان عليه من العلم وقت أبيه "[2] فهي وراثة خاصة، وراثة العلم والنبوة لا غير، فنبي الله سليمان عليه السلام يدرك أهمية العلم وقيمته؛ ولذلك سعىٰ بجد وإخلاص إلىٰ الاستفادة من والده داود، ذلك النبي الطاهر المبارك قبل أن يفاجئه الموت، فاستغل الفرصة تلو الفرصة، وتعلم علىٰ يد والده الكثير من العلوم والمعارف، ولم يبين لنا القرآن الكريم تلك العلوم التي تعلمها سليمان عليه السلام من أبيه، ولذلك يجب علىٰ الأبناء في عصرنا الحاضر المسارعة والمسابقة إلىٰ الاستفادة من آبائهم وأمهاتهم إذا كانوا أصحاب علم ومعرفة، وأن لا ينجروا وراء مباهج الحياة الدنيا وزينتها، وأن لا يكتفوا بنظام التعليم الرسمي، فإن هذا وإن كان مفيدًا ونافعًا إلا أنه لا يغني عن ما لدىٰ الآباء والأجداد، فيمكن للطفل أن يتعلم الكثير من العلوم والمعارف علىٰ يدي أبيه وأمه، فيختصران له الوقت والجهد ويلقنانه الكثير من العلم والأدب والورع والزهد، وقد أدرك سلفنا الصالح ضرورة هذا الملمح التربوي الفريد، فسعوا إلىٰ الاستفادة من والديهم، خصوصًا في مرحلة الطلب وبداياته الأولىٰ فعندما نقرأ في كتب التاريخ والتراجم سنفاجأ بكم هائل من العلماء الراسخين الذين درسوا مبادئ العلوم والمعارف علىٰ أيدي آبائهم وأمهاتهم، واستفادوا من علومهم وخبراتهم أيما استفادة.

يقول علي بن عبد الرحمن: كان عبد الرحمن بن أبي حاتم مقبلاً علىٰ العبادة من صغره،

(١) سورة النمل، الآية رقم ١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، صـ ٧٠٥، الناشر: مجلة البيان، بدون سنة الطبع.

والسهر بالليل والذكر ولزوم الطهارة، فكساه الله بها نورًا، فكان يسر به من نظر إليه "[1]
وقال محمد بن عبد الله البغدادي: " وكان من منة الله على عبد الرحمن أنه ولد بين قماطر العلم والروايات، وتربى بالمذاكرات مع أبيه وأبي زرعة، فكانا يزقانه كما يزق الفرخ الصغير، ويعنيان به؛ فاجتمع له مع جوهر نفسه كثرة عنايتهما، ثم تمت النعمة برحلته مع أبيه، فأدرك الإسناد وثقات الشيوخ بالحجاز والعراق والشام والثغور، وسمع بانتخابه حتى عرف الصحيح من السقيم، فترعرع في ذلك، ثم كانت رحلته الثانية بنفسه بعد تمكن معرفته "[2].

وعودًا إلى معنى الآية الكريمة نجد الحافظ ابن كثير رحمة الله عليه يزيد معنى الآية بيانًا وجمالًا وإشراقًا، فيقول معلقًا عليها ومفسرًا لمعناها: " وورث سليمان داود، أي: في النبوة؛ إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة، إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل أن الولد يرث أباه، فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها، وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث: " نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة "[3]"[4].

ويؤكد العلامة ابن القيم رحمه الله نفس المعنى، فيكتب مقررًا لكلام الحافظ ابن كثير رحمه الله تيكم السطور الرائعات الجميلات: " فهو ميراث العلم والنبوة لا غير، وهذا باتفاق أهل العلم من المفسرين وغيرهم، وهذا لأنَّ داود عليه السلام كان له أولاد كثر سوى سليمان، فلو كان الموروث هو المال لم يكن سليمان مختصًّا به، وأيضًا فإن كلام الله

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، لمحمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ١٥ / ٢٠، الناشر: دار الفكر، دمشق سوريا، ط: ١ سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٤م.
(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٥ / ٢١.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ح (٣٧١٢) وأخرجه مسلم في صحيحه، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا فهو صدقة، رقم ح (١٧٥٨).
(٤) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، ٥ / ٢١٣، الناشر: دار طيبة، ط: ٢ سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

يصان عن الإخبار بمثل هذا فإنه بمنزلة أن يقال: مات فلان وورثه ابنه، ومن المعلوم أن كل أحد يرثه ابنه، وليس في الإخبار بمثل هذا فائدة.

وأيضًا فإن ما قبل الآية وما بعدها يبين أن المراد بهذه الوراثة وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال "[1] وهنا أجد نفسي في حاجة ماسة إلى الحديث عن التراث الإسلامي، ودوره في البناء الحضاري والثقافي للأمة، وكيفية التعامل معه، فأقول وبالله أستمد العون والتوفيق.

العناية بالتراث ودلالته على قضية التوريث العلمي.

المقصود بالتراث.

كلمة تراث في اللغة العربية مشتقة من مادة ورث التي تدور حول ما يتركه الإنسان لمن بعده، وهو المال الموروث، والميراث: الإرث، ويجمع على مواريث، والوارث من أسماء الله الحسنى، وعلم الوراثة: علم يبحث في انتقال صفات الكائن الحي من جيل إلى آخر، والوريث هو أحد الورثة[2].

ولقد أطلق الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه لفظة ميراث على التراث العقدي والثقافي لأمة الإسلام حينما خاطب الصحابة رضوان الله عليهم بقوله: " أنتم هنا جالسون، وميراث محمد صلى الله عليه وسلم يوزع في المسجد.

فلما اندفعوا إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اندهشوا إذ لم يرو سوى حلق الذكر وتلاوة القرآن الكريم، عند ذلك أعلمهم أبو هريرة رضي الله عنه بأن هذا هو ميراث الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعليه فإن التراث إذا أطلق في لغة العرب انصرف إلى الميراث، والمراد: وراثة المال والدين، والمجد والحسب والعز والسؤدد والكرامة.

---

(١) بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن قيم الجوزية، ٢ / ٢٧٩، الناشر: دار ابن الجوزي، ط: ١ سنة ١٤٢٧هـ.

(٢) انظر: المعجم الوجيز، مادة ورث، صـ ٦٦٤، ط: وزارة التربية والتعليم.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر "[1].

والناظر في هذا الحديث الشريف يجده من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لبلاغته وفصاحته، فالرسول عليه الصلاة والسلام يبين لنا فضل العلم والعلماء، كما يؤكد أيضًا أن أفضل ما يكتسبه المرء هو العلم النافع، مبينًا ومقررًا صلى الله عليه وسلم مكانة العلماء ومنزلتهم ودرجتهم الرفيعة التي بوأهم الله إياها، فهم يأتون في المرتبة الثانية بعد مرتبة الأنبياء؛ لأنهم ينهضون بوظيفة هداية الخلق إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، ومن كان ميراثه من العلم فقد نال أفضل شيء وأحسنه على الإطلاق؛ ولذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "من حفظ القرآن فكأنما استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه"[2].

ونروم بالعلم هنا كل علم نافع يخدم الحق، وينشر الفضائل والمثل والقيم، ويعمر الكون، ويعود على الناس بما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، في عاجلهم وآجلهم.

وبناء على ما سبق، فإننا نروم بمصطلح التراث: كل ما تركه السلف في مجال العقائد، والفلسفة، والعلوم، والآداب، والسلوك، واللغة، والفن، والعمران، وهو يشمل المخطوطات، والذخائر العلمية التي تحتاج إلى نشر وتحقيق ودراسة، كما يشمل الحدث التاريخي الذي يحتاج إلى فقه تاريخي[3] عميق ومركز ودقيق.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم ح: (٢٦٨٢) الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٩٨م.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب الحث على طلب العلم، رقم ح (٣٦٤١).
(٣) انظر الرابط التالي: https://ar.wikipedia.org/wiki

وقيل: هو ما يخلفه السابق للاحق في الدين وفي الفكر، وفي الأخلاق وفي الشرائع، وفي الآداب، وفي الفن وغير ذلك[1].

وعليه، فإن مفهوم التراث يتسع ليشمل كل ما أنتجته الحضارة الإسلامية والمجتمعات المنتمية لها من تراث بالعربية والتركية والفارسية، وغيرها من اللغات التي اصطنعها المسلمون في صياغة إنتاجهم المعرفي[2] والعلمي.

التراث ودوره في قضية البعث الحضاري.

يعتبر التراث الإسلامي مظهرًا من مظاهر الإبداع الفردي والجماعي للأمة خلال تاريخها، كما يعتبر أفضل تعبير عن الهوية الثقافية للأمة وذاتيتها الثقافية، ويشمل التراث الإسلامي أشكالًا متعددة ثقافية وفنية وفكرية متوارثة من ماضي الأمة القريب والبعيد، وهو عطاء من صنع الإنسان يختلف باختلاف الأزمنة والأماكن، وهو في مفهومه العام يخص التراث المادي وما يشمله من مبان أثرية، أو ما تكشفه الحفريات وما تضمه المتاحف من آثار ممثلة العصور المختلفة، بل يضم أيضًا التراث الفكري النابع من أعمال ونتاج العلماء والكتاب والمفكرين والمبدعين، كل في عصره.

كما أن هناك تراثًا اجتماعيًّا يتمثل في العادات والأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع ومدى تأثيرها في أفراده؛ ولذلك كانت له علاقة وطيدة بالممارسات الثقافية ونظرتها إلى المستقبل، والربط بين حاضر الأمة وبين ماضيها، وإذا كنا نؤمن بأن المصدر للتراث الإسلامي هو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة اللذان فجرا عطاءات علمية وفكرية وثقافية، فإننا ننزه تراثنا عن حصر مدلوله في مجرد الصيانة المنظمة للآثار وتبويبها في قوائم وعرضها، أو في مجرد مواصلة الاحتفالات التقليدية، أو في الارتباط العاطفي بآثار الماضي، ذلك أن التراث يعتبر من أهم الوسائل الفعالة في ترسيخ الهوية الثقافية.

(١) الغارة على التراث الإسلامي، صـ ٢٠

(٢) انظر الرابط التالي: https://ar.wikipedia.org/wiki

كما أننا نرفض إضفاء هالة التقديس على التراث بحجة أن الوحي هو الذي فجره، ذلك لأن هذا التراث ليس بوحي معصوم كما هو الحال في القرآن الكريم والسنة النبوية، بل هو عمل إنساني وإن ارتبط بالوحي.

ولهذا نرى أن دراسته دراسة نقدية هادفة أمر مفيد يندرج ضمن سبل الغاية منه، فالثقافات التي لديها الجرأة على القيام بنقد ذاتي لتاريخها والاستفادة من الدروس المستخلصة من تراثها يمكنها أن تصوغ تراثها المستقبلي بروح خلاقة لمواكبة التغير دون التخلي عن أصالتها، وإن الذين يستوعبون تراثهم اكتشافًا ودرايةً ونقدًا يكونون أكثر استعدادًا للحفاظ على التواصل من خلال التغيير.

والتراث الإسلامي على صنفين تراث مكتوب ومقروء تزخر به آلاف المكتبات في مختلف البلدان، وتراث مرئي من آثار وأدوات ومنجزات عمرانية وحضارية ومهارات فنية، ولا يزال بعضها قائمًا منتشرا يثير الدهشة والإعجاب والتقدير[1].

إن الإحساس بقيمة التراث الإسلامي ودوره في النهوض الحضاري يدل: " على وجود خلية جينية نفسية حية تنمو في وجدانه، وتشحذ في همته، ولسوف يأتي اليوم - حتمًا - الذي تتفجر فيه هذه المشاعر عبر عطاءات إنسانية كبرى ومادية تعيد هذا الإنسان - تحت شروط معينة -إلى مقامات الريادة، ومواضع السبق في الوجود الإنساني الحي "[2].

ومما يدل على قيمة التراث ودوره في عملية النهوض الحضاري أن الإسلام: " هو المزاج النفسي والفكري المشترك، والجوهر المتميز في حياة الإنسان المسلم ومجتمعه، وعلى مدار تاريخه الطويل الفعال والمؤثر في المسار الإنساني العام، ويستطيع المتأمل - قليل تأمل -

(١) انظر الرابط التالي: https://ar.wikipedia.org/wiki، وبالنسبة لقضية تقديس التراث والتهيب من مراجعته ونقده نقدًا علميًّا صحيحًا، وعدم التوقف عند اجتهادات السلف، ينظر في: أدوات النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر للدكتور قطب بن مصطفى سانو، صـ ٩ -١١، الناشر: دار الفكر، ط: أولى سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٢) الغارة على التراث الإسلامي لجمال سلطان، صـ ٧، الناشر: مكتبة السنة، ط: ١ سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

في كافة النتاجات والإبداعات التي أفرزها الوجود الإسلامي الطويل في الفكر والتصور، وفي القيم والأخلاق، وفي النظم والتشريعات، وفي الآداب والمعارف والفنون وغير ذلك أن يلاحظ هذه الحقيقة، وهي أن الإسلام هو الهوية الثقافية المميزة لهذا النشاط الإنساني الواسع.

وفوق ذلك نستطيع القول بأن المتأمل في المسار العام لحركة المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ ليدرك على الفور قيمة هذا الميزان الضابط، وكيف أن كافة المواقف والنتاجات والتحولات التي تجاوزت هذا الميزان، أو التي حاولت التبديل في أسسه قد انتهت كلها بانتكاسات بالغة على الأمة، وأنه كلما انحرف النشاط الإبداعي بمختلف تجلياته ومظاهره عن هذا الميزان الضابط كلما تعثرت المسيرة، وتعطلت الحركة، واهتز البناء من الداخل حتى انتهي الحال إلى ذلك الركود والجمود الذي خيم على الأمة عدة قرون، فجعلها - بطبيعة الحال - في ذيل القافلة، ومؤخرة الركب الإنساني الجاد[1].

ومما يدل أيضًا على قيمة التراث الإسلامي ودوره في النهوض الحضاري أن: " إحياء هذا التراث، وإيجاد الجسور بينه وبين الجيل الحاضر والأجيال التالية يحقق معنى التواصل الإنساني في مسيرة الأمة، ويجعل من نهضتها بناءً متماسكًا ومتناسقًا ومتمازجًا، كل حلقة فيه تفضي إلى ما يليها، وكل عطاء فيه ركيزة لما فوقه، ومثل هذا الترابط في بنية الأمة بأفقه التاريخي يجعلها مستعصية على شتى محاولات الاختراق الهدام، ويمنحها حصانة ذاتية، تحول بينها وبين أية عملية تسلل غريبة إلى كيانها، فتفسد تواصله، وتمزق روابطه "[2].

كيف نتعامل مع تراثنا؟

إن التعامل مع التراث الإسلامي باعتباره حصيلة إنتاج العقل المسلم من مختلف الطبقات الاجتماعية والتيارات الفكرية والثقافية من البلدان الإسلامية جميعًا، وباعتباره

---

(١) الغارة على التراث الإسلامي، صـ ٩.

(٢) المصدر السابق، صـ ١٠.

أيضًا حاضنًا لهوية الأمة يتطلب العمل على إعادة دراسة هذا التراث وتخليصه من شوائبه، وفتح باب الاجتهاد في مجالاته المتعددة، وتوظيفه لخدمة حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها، والسهر على إحياء التراث الإسلامي الفكري والفني، والمحافظة عليه ونشره بمختلف الوسائل، وترجمة روائعه إلى اللغات الحية، والتعريف بالثقافة والقضايا الإسلامية المعاصرة من خلال وسائل الإعلام الدولية، فالتراث مظهر للإبداع الفردي مثلما هو مظهر للإبداع الجماعي للأمة وتحولاتها التاريخية.

ووظيفة التراث أن يفتح آفاقًا جديدة للأمة لا أن يغلق عليها الآفاق ويسجنها في الماضي، وهو أفضل تعبير عن الذاتية الثقافية، ومعلوم أن هذا التراث الإسلامي ينبني أساسًا على روح الإسلام ومقاصده، ولذا نجده مطبوعًا بالطابع الإسلامي الذي يجعله في غالب الأحيان لا يختلف مع العقيدة ومقومات الدين التي تمتاز بخصائص ومنهاج ومعايير خاصة، ومما لا ريب فيه أن كثيرًا من هذه الخصائص والمعايير تختلف مع كثير من خصائص ومعايير الحضارات السائدة حاليًا بحكم الاختلاف في المنطلقات والخلفيات التاريخية والعقدية، فلا مجال في الثقافة الإسلامية للمذاهب المادية مثلًا، ولا العلمانية، ولا الوضعية، ولا لكثير من المذاهب والنظريات التي لا تعترف بالشرائع السماوية، ولا بمصدريتها ومرجعيتها(١).

ومن المظاهر الحية القائمة في التراث فضلًا عن الصناعات الفنية والمآثر التاريخية المشار إليها آنفًا مجموعة من المؤسسات الاجتماعية كالوقف على بيوت الله، وعلى خزانات الكتب ودور العلم والإحسان، بل وحتى على الحيوان.

ومن المؤسسات الثقافية الكتاتيب والمدارس القرآنية والجامعات وخزانات الكتب، وكذا مجموعة من المظاهر الدينية والتقاليد الاجتماعية كالاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية.

---

(١) انظر الرابط التالي: https://ar.wikipedia.org/wiki

والناس إزاء التعامل مع هذا التراث على ثلاث فرق، فريق مع التراث وفريق ضده[1] وفريق يتوسط في موقفه ويعتدل ويتزن، ويمكن أن نسميه فريقًا معتدلًا، فنحن إذن إزاء فرق ثلاث حول قضية التراث، وكيفية التعامل معه.

الفريق الأول: يقدس التراث ويتعصب له، ويدافع عن عجره وبجره، ويمجده، ويسبح بحمده، ويجعله متعاليًا على النقد العلمي الهادف، ويعطيه صفة التقديس والتبجيل، ويرى أن الأول لم يترك للآخر شيئًا، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، وهذا الفريق يقرر حتمًا وينادي بضرورة قفل باب الاجتهاد على من كان أهلًا لممارسته وارتياده، بل يسعى إلى غلقه غلقًا محكمًا، ولا يخفى على أحد ضعف هذا الرأي، وعدم استناده إلى أسس علمية قوية.

الفريق الثاني: يهاجم التراث مهاجمة شرسة، ويقف منه موقف العداء والتشاحن، ويرد كل أسباب الفشل والتخلف والتقهقر الذي يعاني منه المسلمون اليوم إلى تمسكهم وتشبثهم بذلك التراث البالي من وجهة نظره، ويرى ضرورة التخلص منه جملة وتفصيلًا، بل إلقاؤه ووضعه في مزبلة التاريخ، ولا يخفى على أحد أيضًا ضعف هذا القول وتفاهته.

الفريق الثالث: يقف موقف التوسط والاعتدال، ويرى ضرورة الاستفادة من هذا التراث القيم، واستثمار إيجابياته ومحاسنه، لكنه في الوقت نفسه يؤكد عدم قدسيته وبلوغه مرتبة العصمة، فهو ليس كنصوص الوحيين الكريمين الكتاب والسنة، فلا يعطونه صفة القداسة والعصمة، بل يلحون على ضرورة إخضاعه للفرز والتمحيص بغرض استثمار خيراته ومحاسنه في سبيل تحقيق الشهود الحضاري الذي نرنو إليه في كل حين، كما يحذرون من أخطائه ومساوئه.

يقول أحد الشعراء في معرض نقده للكتب، وبيان ما فيها من غث وسمين، وأنه لا بد

(١) انظر الرابط التالي: https://ar.wikipedia.org/wiki

من طلب العلم، ودراسته على يد الشيوخ بغية استكشاف الأخطاء والمساوئ:

من لم يشـــافـه علمـه بأصـــولـه ... فيقينـه في المعضـــلات ظنـون
من أنكر الأشـــيـاء دون تثبـت ... وتـيـقـن فـمـعـانـد مـفـتـون
الكـتـب تـذكـرة لمـن هـو عـالم ... وصـــوابها بمحـالها معـجـون
والفـكـر غـواص عـلـيـهـا مخـرج ... والحـق فيـهـا لؤلـؤ مكـنـون[١].

ولنقصان العقل البشري وعدم كماله وإحاطته بجميع العلوم والمعارف والدقائق حذر الأئمة الأربعة رحمهم الله من مغبة التعصب لآرائهم وأقوالهم، وقرروا بكل شجاعة عدم عصمتهم من الخطأ والنسيان، يقول إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: " كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر "، وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: " إذا خالف قولي قول النبي صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولي عرض الحائط "، وهذا يعني بكل تأكيد أنهم لم يدعوا لأنفسهم العصمة من الأخطاء والذنوب، ولم يمنحوها صفة القداسة، كما يحمل في طياته دعوة حية إلى العلماء من بعدهم بضرورة التأكد من أقوالهم واجتهاداتهم، فيقبل منها ما كان مستندًا إلى أدلة علمية قوية ناهضة، ويطرح ما دون ذلك.

يقول الناظم رحمه الله مبينًا ومحررًا كلام الأئمة الأربعة في ضرورة عدم التعصب لآرائهم وأقوالهم وفتاويهم:

قـال أبـو حـنـيـفـة الإمـام ... لا يـنـبـغي لمـن لـه إســلام
أخـذ بأقـوالي حـتى تـعـرضـــ ... ـــا على الكتاب والحديث المرتضى
ومـالـك إمـام دار الهـجـرة ... قـال وقـد أشـــار نحو الحـجـرة

---

(١) لم أقف على قائل هذه الأبيات، وهي من محفوظاتي الشعرية التي تلقيتها عن شيوخي في مرحلة الطلب.

كل كلام منه ذو قبول ... ومنه مردود سوى الرسول
والشافعي قال إن رأيتموا ... قولي مخالفا لما رويتموا
من الحديث فاضربوا الجدارا ... بقولي المخالف الآثارا
وأحمد قال لهم لا تكتبوا ما ... قلته بل أصل ذاك فاطلبوا
فاسمع مقالة الهداة الأربعة ... واعمل بها فإن فيها المنفعة
لقمعها لكل ذي تعصب ... والمنصفون يقتفون بالنبي ﷺ[(١)]

وعليه، فإن تراثنا الإسلامي: " في تجلياته الإبداعية المختلفة هو نتاج إنساني لا يملك بمفرداته صفة قداسة علمية مطلقة، أو تنزها عن النقص والضعف والشطط، هذا صحيح، وصحيح كذلك أن جزئيات هذا التراث هي وليدة لحظة تاريخية ذات خصوصيات لحظية متحركة متحولة، وصحيح كذلك أنه ليس من العدل أن يكون هناك وصاية عقلية ونفسية ومنهجية لأي جيل على جيل آخر، وصحيح كذلك أن القديم لا يملك قيمة ذاتية لمجرد قدمه، كل ذلك صحيح، ولا يختلف عليه المنصفون، ولكن من جانب آخر ليست التجليات التراثية كلها مرتبطة بلحظتها التاريخية من خلال حبل سري لو صح التشبيه بحيث لو انقطع هذا الحبل جف ينبوع الحياة فيه ومات، كلا، فمن الممكن -بل الحادث فعلًا - أن ينفصل هذا الوليد عن حبل لحظته التاريخية، ويظل حيًّا نابضًا يمكن أن ينمو ويشتد ويؤتي ثماره وفعاليته المتجددة كلما أمده أهله بالغذاء المناسب، ووفروا له المناخ العام الملائم للنمو الصحي الطبيعي.

ولنكن أكثر وضوحًا، من منا لا يقرأ لأبي حامد الغزالي، فيتملكه الإحساس بأن هذه العقلية المنهجية الفذة إنما تخاطبه هو ابن القرن العشرين، وتمس جروحًا فيه ما زالت حية ومحسوسة، ومن منا لا يقرأ لابن حزم الأندلسي، أو ابن خلدون وغيرهما فيفاجأ

(١) لم أقف على قائل هذه الأبيات، وهي من محفوظاتي الشعرية التي تلقيتها عن شيوخي في مرحلة الطلب.

بمعالجات رائعة، ورؤى بعيدة لإشكالات فكرية وعلمية ما زالت ملحة حتى اليوم، ومرهقة للعقل المعاصر، ومن منا لم يطلع على مجهودات فقهاء الإسلام وأصولييه فيهوله ذلك التنوع والعمق والخصوبة في الفكر التشريعي الإسلامي، والذي ما زال أكثره حيًّا حتى اليوم وصالحًا للتعاطي مع مشكلات الواقع الإنساني الحاضر بشهادة أهل الاختصاص الذين سجلوا ذلك صراحة في المؤتمرات الدولية، حتى أن بعض رجال القانون في أوروبا قد أسسوا جمعية شهيرة باسم محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة بوصفه رائدًا لفقه القانون الدولي العام(1).

أما الوحي فهو مطلق من الزمان والمكان، ومنزه عن الباطل جملة وتفصيلًا، ومعصوم من الخطأ قل أو كثر، دق أو كبر، وبالتالي فإن المنهج الذي يصح في التعاطي مع الوحي يختلف جذريًّا عن المنهج الذي نتعاطى به(2) مع التراث الإسلامي.

والحديث حول موضوع التراث يطول ويتشعب لو أردنا البحث والاستقصاء فيه، وإنما أردت الإشارة إليه، مع ربطه بقضية توريث العلم للأجيال اللاحقة، ودوره في عملية النهوض الحضاري، والبناء الثقافي، وأكتفي بتلكم الإطلالات السريعة خشية الإطالة(3) وأنتقل إلى المبحث الذي يليه، وهو مخصص للحديث عن أهمية وضرورة تعلم لغات الأمم الأخرى، وهو ما نستنبطه من قصة نملة سليمان عليه السلام، تلك القصة الفريدة الماتعة.

---

(1) الغارة على التراث الإسلامي، صـ ١٠ – ١١.

(2) المصدر السابق، صـ ٢٢ .

(3) من أراد الاستزادة حول هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب الغارة على التراث الإسلامي لجمال سلطان، فهو مفيد في بابه.

المبحث الثالث

أهمية وضرورة تعلم لغات الأمم الأخرى

إن اللغة أعظم إنجاز بشري على ظهر الأرض، ولولا نعمة اللغة التي امتن الله بها على عباده لما توارثت الأمم حضارات غيرها واستفادت من عبر الأحداث، وما تفتقت عنه عقول العقلاء في كل فن وعلم.

نعم، لولا اللغة ما قامت للإنسان حضارة، ولا نشأت مدنية، ولقد وقر في أذهان الناس منذ القدم تقديس اللغة وإعظام شأنها، وبلغت القداسة عند الشعوب البدائية أن ارتبطت اللغة عندهم بتأثير اللفظ وسحر الكلمة، واختلط الاسم بالمسمى في عقيدة هذه الأقوام.

اللغة من أعرق مظاهر الحضارة الإنسانية، بل هي أصل الحضارة وصانعة الرقي والتقدم، فهي التي تؤلف الحد الفاصل بين شعب وشعب، وبين أمة وأمة، بل بين حضارة وحضارة؛ لأن الأفراد الذين يتكلمون لغة واحدة لا يتفاهمون بيسر وسهولة فحسب، وإنما هم قادرون على أن يؤلفوا مجتمعًا إنسانيًّا موحدًا متجانسًا؛ لأن اللغة هي قوام الحياة الروحية والفكرية والمادية، بها يعمق الإنسان صلته وأصالته في المجتمع الذي يولد فيه، حيث تخلق اللغة من أفراده أمة متماسكة الأصول موحدة الفروع(١).

وقد أدرك العلماء في العصر الحديث علاقة اللغة بالمجتمع الذي تعيش فيه، ومدى تأثرها وتأثيرها عليه، كما عرفوا الصلة القائمة بين اللغة والنفس الإنسانية، وتلونها بألوان الانفعالات والعواطف الوجدانية لدى بني البشر جميعًا(٢) يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) انظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، لمحمود السعران، صـ ٥، الناشر: دار الفكر العربي، ط: ٢ القاهرة، سنة ١٩٩٧م.

(٢) انظر: مقال لنا غير منشور بعنوان: مبادرة اللغات الإفريقية (لغة الأنكو نموذجا) صـ ١

ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1] والتعارف المشار إليه في الآية يتم عن طريق اللغة، فالتعارف يكون بالتخاطب والتحاور والتباحث، وأداة ذلك اللغة.

إن نظرة فاحصة ومتأملة في قصة نملة سليمان عليه السلام لتهدينا إلى ضرورة تعلم اللغات، وما يتبع ذلك من فوائد وعوائد، ودور اللغات في النهوض بعملية المثاقفة والمحاورة والمفاكرة، حيث يقول ربنا جل جلاله في محكم تنزيله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[2] والمراد بمنطق الطير كلامه، ولقد كان سليمان عليه السلام يفقه كلام الطيور؛ ولذلك راجع الهدهد وراجعه، وفهم قول النملة للنمل، وهذا لم يكن لأحد غير سليمان عليه الصلاة والسلام[3].

يقول جماعة من المفسرين: إن سليمان عليه السلام علم منطق جميع الحيوانات، وإنما ذكر الطير لأنه كان جندًا من جنده يسير معه لتظليله من الشمس، وقال قتادة والشعبي: إنما علم منطق الطير خاصة، ولا يعترض ذلك بالنملة، فإنها من جملة الطير، وكثيرًا ما تخرج لها أجنحة فتطير، وكذلك كانت هذه النملة التي سمع كلامها وفهمه[4].

ويقول الشيخ العلامة عبدالحميد كشك رحمه الله في معرض تفسيره للآية: " أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضا، وهذا شيء لم يعطه أحد من

(١) سورة الحجرات، الآية رقم ١٣.

(٢) سورة النمل، الآية رقم ١٦.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ ٧٠٥.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني، ٤ / ١٥٠، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١٤هـ.

البشر فيما علمناه مما أخبر الله به رسوله، ومن زعم من الجهلة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود -كما قد يتفوه به كثير من الناس - فهو قول بلا علم، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة؛ إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم، ويعرف ما تقول، وليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا، بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال.

ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما تتخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها "[١].

ومعنى قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: أعطانا الله من النعم، ومن أسباب الملك، ومن السلطنة ما لم يؤته أحدًا من الآدميين، فسخر الله له الشياطين يعملون له كل ما شاء من الأعمال التي يعجز عنها غيرهم، وسخر له الريح، غدوها شهر، ورواحها شهر، إن هذا الذي أعطانا الله، وفضلنا واختصنا به لهو الفضل المبين الواضح الجلي، فاعترف أكبر اعتراف بنعمة الله تعالى[٢].

ويدلي العلامة الشوكاني رحمة الله عليه بدلوه في تفسير هذا الجزء من الآية، فيحرر تلك السطور النيرات قائلًا بصريح العبارة وجميل الأسلوب: " ومعنى: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ كل شيء تدعو إليه الحاجة؛ كالعلم والنبوة والحكمة والمال، وتسخير الجن والإنس والطير، والرياح والوحش والدواب، وكل ما بين السماء والأرض - ثم أشار إلى ملمح لطيف مفاده -: وجاء سليمان بنون العظمة والمراد نفسه، بيانا لحاله من كونه مطاعًا لا يخالف، لا تكبرًا وتعظيمًا لنفسه "[٣].

---

(١) في رحاب التفسير، ١٩ / ٣٥٠٨ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ ٧٠٦ .

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٤ / ١٥٠ .

ويعلق صاحب الظلال رحمة الله عليه على هذا المقطع من الآية الكريمة مشيرًا في ثنايا تعليقه ذاك إلى ملحظ لطيف فيحرر قائلًا: " فيظهر ما علمه من منطق الطير، ويجمل بقية النعم مع إسنادها إلى المصدر الذي علمه منطق الطير، وليس هو داود، فهو لم يرث هذا عن أبيه، وكذلك ما أوتيه من كل شيء إنما جاءه من حيث جاءه ذلك التعليم، ... يذيعها سليمان عليه السلام في الناس تحدثًا بنعمة الله، وإظهارا لفضله، لا مباهاة ولا تنفجا على الناس، ويعقب عليها ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ فضل الله الكاشف عن مصدره، الدال على صاحبه، فما يملك تعليم منطق الطير لبشر إلا الله، وكذلك لا يؤتي أحدًا من كل شيء بهذا التعميم إلا الله "[١].

ويعود صاحب الظلال مرة أخرى فيطرح بقلمه البليغ السيال قضية علمية في غاية من الدقة والخطورة قلما يتفطن لها كثير من الناس، فيكتب قائلًا: " وللطيور والحيوان والحشرات وسائل للتفاهم هي لغاتها ومنطقها فيما بينها، والله سبحانه خالق هذه العوالم يقول: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴿٣٨﴾ ﴾[٢] ولا تكون أمما حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها، ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها، وذلك ملحوظ في حياة أنواع كثيرة من الطيور والحيوان والحشرات، ويجتهد علماء هذه الأنواع في إدراك شيء من لغاتها ووسائل التفاهم بينها عن طريق الحدس والظن لا عن الجزم واليقين، فأما ما وهبه الله لسليمان عليه السلام فكان شأنًا خاصًا به على طريق الخارقة التي تخالف مألوف البشر، لا على طريق المحاولة منه والاجتهاد لتفهم وسائل الطير وغيره في التفاهم على طريق الظن والحدس كما هو حال العلماء اليوم، أحب أن يتأكد هذا المعنى ويتضح؛ لأن بعض المفسرين المحدثين ممن تبهرهم انتصارات العلم الحديث يحاولون تفسير ما قصه القرآن عن سليمان عليه السلام في هذا الشأن بأنه نوع

(١) في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب، ٥ / ٢٦٣٤، الناشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط: ١٧ سنة ١٤١٢هـ.

(٢) سورة الأنعام، الآية رقم ٣٨ .

من إدراك لغات الطير والحيوان والحشرات على طريقة المحاولات العلمية الحديثة، وهذا إخراج للخارقة عن طبيعتها، وأثر من آثار الهزيمة والانبهار بالعلم البشري القليل، وإنه لأيسر شيء وأهون شيء على الله أن يعلم عبدًا من عباده لغات الطير والحيوان والحشرات هبة لدنية منه بلا محاولة ولا اجتهاد، وإن هي إلا إزاحة لحواجز النوع التي أقامها الله بين الأنواع، وهو خالق هذه الأنواع، على أن هذا كله لم يكن إلا شقًا واحدًا للخارقة التي أتاحها الله لعبده سليمان، أما الشق الآخر فكان تسخير طائفة من الجن والطير لتكون تحت إمرته، وطوع أمره، كجنوده من الإنس سواء بسواء، والطائفة التي سخرها له من الطير وهبها إدراكًا خاصًا أعلى من إدراك نظائرها في أمة الطير "(١).

وقد سبق الإشارة إلى أن في الآية الكريمة إيماءة سريعة إلى ضرورة تعلم اللغات وفوائدها ودورها في عملية النهوض الحضاري، والبناء الثقافي للأمم والشعوب، فتعلم اللغات يتيح للفرد التعرف على ثقافات جديدة، ويمكنه من تبادل الخبرات والمعارف فيما بينه وبين الآخرين مما يعزز الوعي الثقافي لدى المتعلم، وعن طريق الثقافة يتمكن الشخص من بناء علاقات قوية مع الآخرين في مختلف مناطق العالم، إلى جانب تعلم احترام القيم والأعراف والثقافات المختلفة، كما أنه يعزز عملية التواصل والتشارك والتفاعل والتباحث والتلاقح، فعند السفر إلى دولة من دول العالم يتمكن مجيد اللغة من التعرف على ثقافات الشعوب والبلدان، بل وقراءة صحفهم ومجلاتهم، ومطالعة أخبارهم وحكاياتهم، مما يجعل منه شخصًا محبوبًا ومرحبًا به لديهم نتيجة عنايته وتفهمه لتاريخهم وثقافتهم(٢) فاللغة هي الوعاء الذي يحتضن العلم، وينتقل به من مكان إلى مكان، ومن زمن لآخر.

إن اللغات نتاج قريحة البشر، واللغات الأجنبية تعبر عن سكان هذه المعمورة، وكل لغة تحمل خلفية مجتمع من ثقافة وبيئة، وبتعلم اللغة تتكشف لنا جميع تلك التفاصيل

---

(١) في ظلال القرآن، ٥ / ٢٦٣٤ – ٢٦٣٥ .

(٢) انظر الرابط التالي: https://mawdoo3.com/

فنستفيد مما عند غيرنا من الإيجابيات.

وعليه، فإن تعلم اللغات يفرضه علينا الواقع بتحدياته، والسبق في المجالات العلمية لغيرنا، فإذا نحن لم نتعلم لغاتهم فسيصعب علينا دون ريب استخلاص المعلومة وأخذها من مصادرها الأصيلة.

وأود الإشارة في عجالة سريعة إلى أهمية الترجمة ودورها في نقل المعارف الأجنبية، وإن كانت لوحدها غير كافية، فتبقى مصطلحات يصعب تعريبها ونقلها بمحمولها الدلالي كما هو، بل يجب العودة إلى المنبع الأصيل للغة، واستكناه طبيعة هذا المصطلح كما ورد بها؛ لأن كل لغة لها أسلوبها الفريد في التعبير عن حقائق الأمور.

إن تعلم اللغات والإقبال عليها من معالم المجتمعات المتحضرة الناهضة، فهو دليل على الوعي المجتمعي، وإدراك ضرورة الأخذ من خبرات الغير، ويكون ذلك بتشجيع فتح المدارس الخاصة، وتكوين أساتذة وكوادر ذوي مستويات عالية[1] ووضع برامج تدريسية متطورة، فيسهل حينها هضم اللغة وممارستها والقراءة والاطلاع بها على ما كتبه الآخرون من مؤلفات علمية مهمة بالنسبة لنا، فاللغة تعبر عن الفكر، كما تعبر عن ثقافة الآخر وقيمه، والنظام الحياتي الذي جعله يصل إلى أرقى المراتب علميا وحضاريا وثقافيا، ونحن في أمس الحاجة إلى معرفة تلك النظم والمعارف حتى تزدهر العلوم في بلداننا، فتحدث المنظومات التعليمية بما يواكب العصر وتحدياته المختلفة[2].

إن دعوتنا إلى تعلم اللغات لا تعني بأي حال من الأحوال إهمالنا للغة القرآن وتجاهلنا لها، ورميها عرض الحائط، وعدم الالتفات إليها، والاستخفاف والتقليل من شأنها، كلا ليس هذا ما نرومه في هذا المبحث، وإنما نروم الاستفادة من معارف الآخرين وتجاربهم

(١) على سبيل المثال لغة الأنكو، وهي من اللغات الإفريقية التي تدرس في الكلية الإفريقية للدراسات العليا في جامعة القاهرة، المعروفة سابقًا بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، وجامعة هارفارد، وجامعة بنسلفانيا، وجامعة إنديانا، وجامعة إينالكو في فرنسا، وجامعة بيتربورغ في دولة روسيا الاتحادية.

(٢) انظر من خلال الرابط التالي: https://www.alukah.net/literature_language

وخبراتهم عن طريق إتقان لغاتهم التي يتحدثون بها، وإلا فإن اللغة العربية هي لغة العلم والأدب والثقافة والحضارة، والدارس للتاريخ يدرك هذا الملحظ جيدًا، ولا يتجاهله إلا مغرضٌ أو سفيهٌ لا يدرك قيمة تلك اللغة وفضلها الواسع على البشرية جمعاء.

يقول العلامة محمد الحسن ولد الددو حفظه الله في معرض جوابه المحكم عن حكم تعلم اللغات الأجنبية، وخصوصًا للمرأة إذا كانت ستدعو بها وتعمل في مجالات مفيدة، وأنقله بطوله نظرًا لنفاسته: " إن دراسة جميع اللغات هي من الأمور الجائزة، فاللغات نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان ومن ألطافه، فالإنسان مضطرٌ لخطاب الآخرين والتفاهم معهم، والتفاهم إنما يكون عن طريق فعل يفعله الإنسان بإحدى الحواس الخمس، والحواس الخمس ثلاث منها لا يمكن التفاهم عن طريقها، لا يمكن أن تستقبل، فمثلًا الشم لا يمكن أن يعرف به أغراض الإنسان؛ لأنَّ الإنسان ليس لديه من الروائح ما يعبر عن جميع مراده، فلا يمكن التفاهم عن طريق الشم بين الإنسان، وإن كان ذلك يقع بالنسبة لبعض الحيوانات كالنمل والنحل، فتفاهمها يقع عن طريق الشم بإفرازات معينة، لكن لا يمكن أن يقع هذا في البشر.

كذلك اللمس فإن التفاهم به متعذرٌ؛ لأنَّ الإنسان لو اتخذ من الآلات ما هو تعبير عن جميع الأفعال لامتلأ عليه بيته بالتعابير، فلم يستطع أن يحيط بكل ما يريد التعبير عنه، ومع ذلك فإن العميان اليوم قد أصبحوا يقرؤون عن طريق اللمس بنظرية برايل، فبرايل اقترح تنقيطًا في الأوراق تثقيب للأوراق يلمسه الأعمى فيقرؤه يقرأ به الحروف، ولكن هذا من الحالات النادرة، وهو مختص بموضعه فلا يتعداه، ثم كذلك فإن الذوق لا يمكن أن يفهم به؛ لأن الطعوم قليلة محصورة، فلا تعبر عن مراد الإنسان، فلم يبق إذن إلا المتلقى عن طريق السمع والمتلقى عن طريق البصر، فالمتلقى عن طريق البصر يشمل الكتابة والإشارة، والمتلقى عن طريق السمع هو الكلام، لكن وجد أن الناس منهم عميان ومنهم صمٌّ، فالصم لا يمكن أن ينتفعوا عن طريق السمع، والعميان لا يمكن أن ينتفعوا عن طريق الإشارة أو الكتابة، لكن ازدادت نسبة العميان بالليل، فالزمن ينقسم

إلى ليل ونهار، فالليل تزداد به نسبة العميان، فالناس لا يستطيعون التفاهم فيه عن طريق الرؤية، فكان التفاهم عن طريق الأذن إذن أولى من التفاهم عن طريق العين، والتفاهم عن طريق الأذن يتم بالصوت، والصوت أصله لا يكلف جهدًا ولا عناءً كبيرًا؛ لأنَّ الإنسان يستنشق الهواء بأنفه وهو نقي، الأكسجين الذي يتنفس به الإنسان فيصل إلى رئتيه فيتردد في الدم فيرجع ملوثًا، وهو ثاني أكسيد الكربون فيخرجه الإنسان، فإذا أخرجه فالصوت هو عبارة عن ضغط على هذا الهواء الخارج في أي موضع من المواضع السبعة عشر، وهي مخارج الحروف، فإذا ضغط عليه ضغطًا قويًّا كان الحرف حينئذ من الحروف المهجورة، وإذا ضغط عليه ضغطًا خفيفًا كان الحرف من الحروف المهموسة، وإذا ضغط عليه ضغطًا متوسطًا كان الحرف من الحروف المتوسطة، وهكذا فمخارج الحروف سبعة عشر مخرجًا هي باعتبار الضغط على هذا الهواء الخارج من الرئة، وهذا لا يكلف عناءً ولا جهدًا، بخلاف الكتابة فهي تحتاج مواد وأوراق وأقلام، فكان النطق أسهل، فكان نعمةً من نعم الله ولطفًا من ألطافه، واللغات متفاوتة، وقد علم الله آدم عليه السلام أسماء الأنبياء كلها ...، وقد ذكر بعض أهل العلم أنه علمه اثنتين وسبعين لغة، وهي أصول اللغات، فأصول لغات العالم اثنتان وسبعون لغة، واليوم لغات العالم كثيرة جدًّا، في الهند وحدها ٤٦٠ لغة، فضلًا عما سواها من اللغات في العالم، وتعلم هذه اللغات يزيد الإنسان فهمًا واستيعابًا للأمور، فلا حرج فيه بل إن الإنسان يزداد ثقافة كلما ازداد لغة وتعلمها؛ ولذلك فإن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما كان له مائة غلام يكلم كل غلام بلغة تختلف عن لغة الآخر، له مائة غلام، كل غلام تعلم منه لغته، فكان يكلمه بتلك اللغة، معناه أنه يتكلم بمائة لغة، وهذا من ذكاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن ثابت - رضي الله عنه - إلى اليهود يتعلم لغتهم؛ لأنه لم يكن يأمنهم على القرآن فيخاف أن يحرفوا ويبدلوا، فتعلم زيد بن ثابت لغة اليهود، فإذن جميع اللغات يجوز تعلمها شرعًا، وهو مرغب فيه سواء كان ذلك للرجال أو للنساء، لكن يبقى فقط البحث في وسيلة التعليم، فوسيلة التعليم لابد من ضبطها ضبطًا شرعيًّا، وهذا الذي سبق ذكره فيما يتعلق بالدراسة في المدارس، فقد ذكرنا

أن المدارس إذا كانت غير مختلطة، ولا تدعو إلى كشف الحجاب وإزالته فيجوز للمرأة أن تتعلم فيها ...، وإذا كانت المدرسة تشترط خلع الحجاب كالحال في مدارس فرنسا اليوم بعد هذا القانون الجديد، فلا يحل للمرأة أن تدرس فيها حينئذ إلا من ضرورة مخصوصة، ولا يجوز تعدي الضرورة؛ لأنها تقدر بقدرها، واليوم الحمد لله قد تيسر تعلم اللغات، فأصبحت برامج في الكمبيوتر، وفي الإنترنت هذه البرامج أيضًا كتب وأشرطة موجودة توزع، وهي دورات مكثفة تختلف باختلاف المستويات، فيسهل جدًّا على الإنسان أن يتعلمها، وهو زيادة خير له، فلذلك ينصح الشباب بزيادة التعلم في اللغات، وبالأخص اللغات التي يحتاجون إليها في أمور معاشهم، وفي أمور دنياهم، وحتى في أمور دينهم، فمثل أهل هذا البلد ينبغي أن يتعلموا اللغات الوطنية، فتعلم الشباب لها مفيد جدًّا؛ لأنه يزيد لحمة أبناء هذا الوطن، ويزيد صلتهم ويقتضي أن يستطيع الإنسان التعليم لجيرانه الذين لهم حق عظيم عليه، فإذا تعلم الإنسان اللغات المحلية من مثل: الأولفية[1] والبلارية[2] والسونكية[3] واستطاع أن يبلغ جيرانه ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى، فيكون بهذا قد نفع وطنه وشارك في وحدة الصف والكلمة، ومثل ذلك اللغات العالمية المشهورة، وقد سئل أبو الأعلى المودودي رحمه الله عن مقومات الداعية المسلم، قيل له: ما مقومات الداعية المسلم؟ قال: هل تريدون شروطًا كثيرة أو شرطًا واحدًا؟ قالوا: نريد شرطًا واحدًا، قال: أن يتقن اللغة الإنجليزية، فإذا أتقن الإنسان لغة من اللغات الحية العالمية من خلال إتقانها، يمكن أن يقرأ كثيرًا من الكتب، وأن يطلع على كثير من واقع الشعوب، وبذلك يتعلم ما نقصه علمه، وأيضًا يصل إلى خبرة من خلال تجربة الآخرين، فتجارب الناس اليوم مكتوبة، وبالأخص الإنجليز، فكل كاتب يكتب مذكرات حياته وتجاربه، وما مر عليه من القصص

---

(١) لغة أغلبية سكان السنغال، وتكتب بالأبجدية اللاتينية.

(٢) لا أعلم عنها شيئا.

(٣) لغة مندنكية، وأصحابها يتواجدون في بعض مناطق مالي، وفي غامبيا، وكذلك في جنوب موريتانيا، وفي السنغال ويسمون بـ الساراكولي، وقد كانت لغة إمبراطورية غانا، والماليون يدعونهم بـ ماراكا.

والحكايات، فيستفيد الإنسان بذلك أنماطًا من التربية وتجارب كثيرة، ومن هنا فإنَّ كثيرًا من الذين كتبوا تجارب حياتهم أفادوا الناس في التربية كثيرًا، وهذا الأسلوب أخذ به أيضًا كثير من الدعاة المعاصرين اليوم، فمثلًا الشيخ علي الطنطاوي رحمة الله عليه كتب ذكرياته في ثمانية أجزاء، فكانت مفيدة جدًّا فيها قصصه وحياته المديدة الطويلة في الدعوة والعلم والتعلم، وكذلك الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمة الله عليه أيضًا، فكتابه صفحات من صبر العلماء وجلدهم في الطلب كتاب فيه ذكرياته هو في طلب العلم، ولقاء الناس وأنماط الشعوب، وما يتعلق بذلك، وفيه كثير من الأمور التي تقوي شخصية الدارس[١] المسلم.

(١) انظر من خلال الرابط التالي: https://ar.islamway.net/fatwa/13304

المبحث الرابع

توفير الإمكانات وحسن إدارتها والتصرف فيها بحكمة وتعقل

إنَّ أيَّ عمل من الأعمال يراد له النجاح والبقاء والاستمرارية والديمومة، لا بد أن يستعد له تمام الاستعداد، وينظم غاية التنظيم، ويوفر له جميع الإمكانات والطاقات، مع حسن إدارة وتصرف بحكمة وتأن وروية، فالإدارة بمفهومها الصحيح: " فن من الفنون الحرة التي تنهل بلا قيود من كافة العلوم التي تساعدنا على فهم أنفسنا، وفهم عالمنا؛ ولهذا السبب بالذات تعد الإدارة عملًا يستحق الأداء، ولكنه وللسبب نفسه عمل يصعب أن تقوم به على أحسن وجه "[1] وسر ذلك هو أن العمل الناجح المثمر لا بد أن يسبقه علم نافع، وهو ما نجده جليًّا في هذه الدراسة، وقد سبق أن تحدثنا في المبحث الأول من هذا الفصل عن أهمية العلم، ودوره في عملية النهوض والتفوق الحضاري الذي يراد الوصول إليه، والعلم المراد هنا: علم حقيقي، وليس علم متوهم، فالحديث عن علم الإدارة، والتخطيط الجيد، وتعرف الإدارة بأنها: " عملية إنسانية اجتماعية، تتناسق فيها جهود العاملين في المنشأة أو المؤسسة، كأفراد وجماعات لتحقيق الأهداف التي أنشئت المؤسسة من أجل تحقيقها، متوخين في ذلك أفضل استخدام ممكن للإمكانات المادية والبشرية، والفنية المتاحة للمنظمة.

والإداري: هو الإنسان الذي يوجه جهوده وجهود الآخرين معه لتحقيق الأهداف المتفق عليها، مستعملًا العمليات والمهارات الإدارية، مع التوظيف الأمثل للقدرات والإمكانات، وفي سبيل تحقيق الأهداف تتفاعل أنماط مختلفة من سلوك الأفراد والجماعات في داخل المؤسسة في نسيج متشابك موجه نحو الهدف، ويقوم فيه العاملون حسب وظائفهم بأدوار معينة لهم في إطار موقع كل منهم من الهيكل التنظيمي،

---

(١) الإدارة علم وفن، لجوان ما غريتا، صـ ٦، الناشر: دار السلام، ط: ١ سنة ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨م .

والواجبات الوظيفية المحددة له في المؤسسة "[1] وإذا ألقينا نظرة فاحصة في قصة سليمان عليه السلام مع النملة نجد هذا النبي الكريم يدير مملكته إدارة علمية عملية منظمة، حيث لا وكس ولا شطط، ولا إفراط ولا تفريط، فلا مكان فيها للعمل العفوي، أو الارتجالي غير المنظم والمنسق، وقد بات كل فرد من أفراد تلك المملكة يؤدي ما عليه من مهام ومسؤوليات، وينجز العمل المطلوب على الوجه الأمثل، ولو حصل تقصير من بعض أفراد تيكم المنظومة حوسب على تقصيره وإخلاله بالواجب الملقى على عاتقه، ويظهر هذا في توعد سليمان عليه السلام للهدهد لما غاب عنه، وتفقد الطير، فلم ير الهدهد في مكانه.

إن من تأمل قصة نبي الله سليمان عليه السلام يجد هذا الملحظ جليًّا فيها، والآية الكريمة التي تومئ إلى هذا المقصد هي قول الله جل جلاله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[2] وحشر بمعنى جمع، والمقصود جمع له جنوده الكثيرة الهائلة المتنوعة من بني آدم، ومن الجن والشياطين، ومن الطيور فهم يوزعون، يدبرون، ويرد أولهم على آخرهم، وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم، وحلهم وترحالهم، قد استعد لذلك، وأعدَّ له عدته، وكل هذه الجنود مؤتمرة بأمره، لا تقدر على عصيانه، ولا تتمرد عليه[3] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حسن الإدارة، ودقة التنظيم، والتخطيط الجيد للأهداف والرؤى والمنطلقات.

يقول العلامة عبد الحميد كشك رحمة الله عليه في بيان معنى الآية: " وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير، يعني ركب فيهم في أبهة، وعظمة كبيرة في الإنس، وكانوا هم الذين يلونه، والجن هم بعدهم في المنزلة، والطير ومنزلتها فوق رأسه، فإن كان حر أظلته منه بأجنحتها، وقوله: فهم يوزعون أي: يكف أولهم على آخرهم لئلا

(١) انظر: الرابط التالي: https://www.annajah.net/

(٢) سورة النمل، الآية رقم ١٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ ٧٠٦.

يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له، قال مجاهد: جعل على كل صنف وزعة يردون أولاها على أخراها؛ لئلا يتقدموا في المسير كما يفعل الملوك اليوم "[1].

والحشر كما سبق الإشارة هو: الجمع، والمعنى أن جنوده كانت محضرة في حضرته مسخرة لأمره حيث هو، والجنود: جمع جند، وهو الطائفة التي لها عمل متحد تسخر له، وغلب إطلاق الجند على طائفة من الناس يعدها الملك لقتال العدو ولحراسة البلاد.

وقوله: من الجن والإنس والطير، يشير إلى أهمية التنظيم، وتوفير الإمكانات اللازمة، فجنود نبي الله سليمان عليه السلام مرتب على ثلاثة أصناف: " صنف الجن، وهو لتوجيه القوى الخفية، والتأثير في الأمور الروحية، وصنف الإنس، وهو جنود تنفيذ أوامره ومحاربة العدو وحراسة المملكة، وصنف الطير، وهو من تمام الجند لتوجيه الأخبار وتلقيها، وتوجيه الرسائل إلى قواده وأمرائه، واقتصر على الجن والطير لغرابة كونهما من الجنود؛ فلذلك لم يذكر الخيل، وهي من الجيش.

والوزع: الكف عما لا يراد، فشمل الأمر والنهي، والمعنى: فهم يؤمرون فيأتمرون، وينهون فينتهون، فقد سخر الله له الرعية كلها، والفاء للتفريع على معنى حشر؛ لأن الحشر إنما يراد لذلك "[2].

وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن جمع الجنود وتدريبها من واجبات الملوك؛ ليكون الجنود متعهدين لأحوالهم وحاجاتهم ليشعروا بما ينقصهم ويتذكروا ما قد ينسونه عند تشوش الأذهان عند القتال وعند النفير[3].

هذا، وقد أشار العلامة محمد الطاهر بن عاشور رحمة الله عليه إلى لطيفة فريدة تتعلق بهذه الآية، حيث يقول: " وهب الله سليمان قوة من قوى النبوءة، يدرك بها من أحوال الأرواح والمجردات كما يدرك منطق الطير، ودلالة النمل ونحوها، ويزع تلك

(١) في رحاب التفسير، ١٩ / ٣٥٠٨ .

(٢) التحرير والتنوير، ١٩ / ٢٣٩ -٢٤٠ .

(٣) المصدر السابق، ١٩ / ٢٤٠ .

الموجودات بها فيوزعون تسخيرًا، كما سخر بعض العناصر لبعض في الكيمياء والكهربائية، وقد وهب الله هذه القوة محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم فصرف إليه نفرًا من الجن يستمعون القرآن ويخاطبونه، وإنما أمسك رسول الله عن أن يتصرف فيها ويزعها كرامة لأخيه سليمان، إذ سأل الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فلم يتصرف فيها النبي صلىٰ الله عليه وسلم مع المكنة من ذلك، لأن الله محضه لما هو أهم وأعلىٰ فنال بذلك فضلًا مثل فضل سليمان، ورجح بإعراضه عن التصرف تبريرًا لدعوة أخيه في النبوءة؛ لأن جانب النبوءة في رسول الله أقوىٰ من جانب الملك، كما قال للرجل الذي رعد حين مثل بين يديه: " إني لست بملك ولا جبار "[1] وقد ورد في الحديث: " أنه خير بين أن يكون نبيا عبدا، أو نبيا ملكًا فاختار أن يكون نبيا عبدًا "[2] فرتبة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رتبة التشريع، وهي أعظم من رتبة الملك، وسليمان لم يكن مُشرِّعًا؛ لأنه ليس برسول، فوهبه الله ملكًا يتصرف به في السياسة، وهذه المراتب يندرج بعضها فيما هو أعلىٰ منه فهو ليس بملك، وهو يتصرف في الأمة تصرف الملوك تصرفًا بريئًا مما يقتضيه الملك من الزخرف والأبهة "[3].

وعليه، فإنه يجب علىٰ كل قائد، وموجه ومدرب يسعىٰ نحو النهوض بأمته ضرورة العمل الجاد علىٰ إعداد القوة المطلوبة، وتوفير الإمكانات اللازمة، وحسن الإدارة والتخطيط الجيد، والتصرف بحكمة وتعقل وروية، فالله جل جلاله يريد لنا نحن البشر ملكًا عمليًّا؛ ولذلك ذكر لنا هذه الصفات مجردة: " ثم أوردها محققة في ملك سليمان؛ لنكون عمليين في بناء المجد لا كلاميين ولا نظريين، فما القوة هنا؟ وما كثافة الجند؟ اقرأ معي قول الله:﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ﴾[4] من كثرتهم

---

(١) لم أقف علىٰ تخريجه.

(٢) لم أقف علىٰ تخريجه.

(٣) التحرير والتنوير، ١٩ / ٢٣٩ .

(٤) سورة النمل، الآية رقم ١٧ .

وتزاحمهم يوزعون، يدفعون حفظًا لنظامهم، وإبقاءً على تنسيق صفوفهم، فلا يتقدم المتأخر، ولا يتأخر المتقدم، وهذه الجنود الكثيفة التي لم يعرف لها مثيل في تعدد أجناسها تبعث الرعب في جميع الآفاق، حتى ليدخل الوجل في قلوب النمل فضلًا عن غيره "(١) من الكائنات والمخلوقات الأرضية.

وقد دل قوله تعالى: فهم يوزعون على جواز اتخاذ الإمام والحكام وزعة، أي: عرفاء يكفون الناس ويمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض، إذ لا يمكن للحكام مباشرة ذلك بأنفسهم(٢) وقد علق القاضي أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله على قول الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه: " ما يزع الناس السلطان أكثر مما يزعهم القرآن "، فكتب: " وقد جهل قوم المراد بهذا الكلام، فظنوا أن المعنى فيه أن قدرة السلطان تردع الناس أكثر مما تردعهم حدود القرآن، وهذا جهل بالله وحكمه وحكمته ووضعه لخلقه، فإن الله ما وضع الحدود إلا مصلحة عامة كافة قائمة بقوام الحق، لا زيادة عليها ولا نقصان معها، ولا يصلح سواها، ولكن الظلمة خاسوا بها وقصروا عنها، وأتوا ما أتوا بغير نية منها، ولم يقصدوا وجه الله في القضاء بها، فلم يرتدع الخلق بها، ولو حكموا بالعدل وأخلصوا النية لاستقامت الأمور وصلح الجمهور ..."(٣).

وبهذا أكون قد وصلت إلى نهاية هذا المبحث، وأنتقل إلى الذي بعده، وقد خصصته للحديث عن استشعار كل فرد من أفراد المجتمع للدور المنوط به في تحقيق النهوض الحضاري.

---

(١) في رحاب التفسير ١٩ / ٣٥٢٢ - ٣٥٢٣ .
(٢) انظر: التفسير المنير، ١٩ / ٢٧٨ .
(٣) أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي، ٣ / ٤٧٤، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ٣ سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

المبحث الخامس

استشعار كل فرد من أفراد المجتمع دوره في تحقيق النهوض الحضاري

إن من الواجبات المؤكدات على كل فرد من أفراد هذه الأمة ضرورة استشعار الدور المنوط به في عملية البناء والتنمية، وتحقيق النهوض الحضاري، وذلك ما نجده جليًّا واضحًا في قول المولى جل جلاله حكاية عن نملة سليمان عليه السلام: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[1] ومعنى: حتى إذا أتو على واد النمل أي: أشرفوا عليه، وفي موضعه قولان: أحدهما: أنه بالطائف، قاله كعب، والثاني: أنه بالشام، قاله قتادة[2].

يقول الإمام الشعبي رحمة الله عليه في بيان وصف نملة سليمان عليه السلام:" كانت تلك النملة ذات جناحين، وقيل: كانت نملة عرجاء فنادت "[3] وقالت مخاطبة بني جنسها حين استشعرت الخطر القادم نحوهم: " ادخلوا مساكنكم، ولم تقل ادخلن؛ لأنه لما جعل لهم قولا كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين "[4] ومعنى قوله: لا يحطمنَّكم سليمان وجنوده، أي: لا يكسرنكم سليمان وجنوده، والحطم: هو الكسر[5] والتعبير بلفظ الحطم يومئ إلى أن جسم النمل يتكون من هيكل عظمي، وقد أثبت العلم الحديث صحة هذا التحليل حينما أكد أن للنمل هيكل عظمي خارجي صلب، يتكسر بسرعة عند تعرضه للضغط، فسبحان من جعل كتابه معجزًا خالدًا إلى يوم الدين.

---

(١) سورة النمل، الآية رقم ١٨.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ٣ / ٣٥٦، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١ سنة ١٤٢٢هـ.

(٣) معالم التنزيل للإمام البغوي، ٣ / ٤٩٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١ سنة ١٤٢٠هـ.

(٤) المصدر السابق، ٣ / ٤٩٥ .

(٥) المصدر السابق، ٣ / ٤٩٥ .

وجملة: وهم لا يشعرون حالية، وتشتمل على اعتذار والتفات[1] وفيها إشارة إلى تنزيه الأنبياء عليهم السلام عن المعصية، ومنهم سليمان عليه السلام " والمعصوم لا يجوز منه إيذاء البريء عن الجرم، ولكنه لو حطمكم فإنما يصدر ذلك منه على سبيل السهو؛ لأنه لا يعلم حالكم "[2] فالنملة تعتذر عن نبي الله سليمان عليه السلام، وتحذر قومها من مغبة عدم سماع النصيحة؛ وهي الوقوع في التهلكة التي لا تحمد عقباها، ولو افترضنا وقوع الحطم من قبل سليمان وجنوده، فإنه سيكون حطمًا غير مقصود، يعني ليس عن سبق إصرار وترصد، وسيترتب على تلك الجناية عدم المؤاخذة نظرًا لانتفاء قصد العمد، وسبق الإصرار والترصد؛ ولذلك علق الإمام الخازن رحمه الله على جملة: وهم لا يشعرون، فكتب: " علمت النملة أن سليمان نبي ليس فيه جبروتية ولا ظلم، ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا وطئوكم، ولم يشعروا ..."[3] ويقول العلامة محمد متولي الشعراوي رحمة الله عليه محررًا عين ما ذهب إليه الإمام الخازن: " والمعنى: حالة كونهم لا يشعرون بكم، وهذا من عدالة حكمها ومعرفتها بسليمان، وأنه ليس جبارًا ولا عاتيًا، إذن فالنملة رأت عن بعد، ونطقت عن حق، وحكمت بعدل، لهذا كله تبسَّم سليمان ضاحكًا "[4] من قولها، ومتعجبًا من فصاحتها.

وإن من الفوائد المجتناة من الآية الكريمة الإشارة إلى أهمية العلم، وأنه يورث صاحبه الرياسة والمجد والسؤدد، فتلك: " النملة لما علمت هذه المسألة الواحدة استحقت الرياسة التامة، فمن علم حقائق الأشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستوجب

(١) التفسير المنير، للدكتور وهبة الزحيلي، ١٩ / ٢٧١، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، ط: ٢ سنة ١٤١٨هـ.

(٢) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، ٢ / ٤١٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١ سنة ١٤٢٠هـ.

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ٣ / ٣٤١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١٥هـ.

(٤) تفسير الشعراوي الموسوم بـــ: الخواطر، ١٧ / ١٠٧٥٩.

الرياسة في الدنيا والدين "[١] هذا، وقد حكى الإمام الرازي رحمة الله عليه طرفة جميلة، ونكتة لطيفة، وهي تدور حول الآية، حيث يقول: " أما قوله تعالى: قالت نملة، فالمعنى أنها تكلمت بذلك، وهذا غير مستبعد، فإن الله تعالى قادر على أن يخلق فيها العقل والنطق، وعن قتادة: أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس، فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرًا وهو غلام حدث، فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى؟ فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة رضي الله عنه كانت أنثى فقيل له: من أين عرفت؟ فقال من كتاب الله تعالى، وهو قوله: قالت نملة، ولو كان ذكرًا لقال قال نملة، وذلك لأن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم حمامة ذكر، وحمامة أنثى، وهو وهي ..."[٢].

إن المتمعن في الآية الكريمة يجد أن تلك النملة الصغيرة الحجم، العديمة الفائدة في نظر كثير من الناس نادت على قومها، وقالت لهم بصريح العبارة: يا أيها النمل، ثم أصدرت أمرًا إليهم: ادخلوا مساكنكم، حيث طالبتهم بالدخول إلى منازلهم، وعطفت على تينك العبارتين تحذير قومها من مغبة عصيان ومخالفة الأمر الصادر منها إليهم، فقالت عندئذ قولتها البليغة الشهيرة: لا يحطمنكم سليمان وجنوده، ثم ختمت كلامها بالاعتذار الحسن عن نبي الله سليمان، فقالت: وهم لا يشعرون؛ ولذلك تعجب الإمام أبو حيان رحمة الله عليه في بحره من مقالة هذه النملة، فقال: " ما أحسن ما أتت به هذه النملة في قولها وأغربه وأفصحه وأجمعه للمعاني، أدركت فخامة ملك سليمان، فنادت وأمرت وأنذرت، وذكروا أنه جرى بينها وبين سليمان محاورات، وأهدت له نبقة وأنشدوا أبياتا في حقارة ما يهدى إلى العظيم، والاستعذار من ذلك، ودعاء سليمان للنمل بالبركة، والله أعلم بصحة ذلك أو افتعاله "[٣] كما علق العلامة ابن القيم رحمة الله عليه على ذات الآية بقوله: " فاستفتحت خطابها بالنداء الذي يسمعه من خاطبته، ثم أتت بالاسم المبهم، ثم

---

(١) التفسير الكبير، ٢ / ٤١٢ .

(٢) التفسير الكبير، ٢٤ / ٥٤٨ .

(٣) البحر المحيط للإمام أبي حيان، ٨ / ٢٢١، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: سنة ١٤٢٠ هـ.

أتبعته بما يثبته من اسم الجنس إرادة للعموم، ثم أمرتهم بأن يدخلوا مساكنهم فيتحصنون من العسكر، ثم أخبرت عن سبب هذا الدخول، وهو خشية أن يصيبهم معرة الجيش فيحطمهم سليمان وجنوده، ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده بأنهم لا يشعرون بذلك، وهذا من أعجب الهداية، وتأمل كيف عظم الله سبحانه شأن النمل بقوله:﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ثم قال – الله تعالى –:﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ ﴾ فأخبر أنهم بأجمعهم مروا على ذلك الوادي، ودل على أن ذلك الوادي معروف بالنمل كوادي السباع ونحوه، ثم أخبر بما دل على شدة فطنة هذه النملة ودقة معرفتها حيث أمرتهم أن يدخلوا مساكنهم المختصة، بهم، فقد عرفت هي والنمل أن لكل طائفة منها مسكنًا لا يدخل عليهم فيه سواهم، ثم قالت:﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ فجمعت بين اسمه وعينه، وعرفته بهما، وعرفت جنوده وقائدها، ثم قالت: وهم لا يشعرون، فكأنها جمعت بين الاعتذار عن مضرة الجيش بكونهم لا يشعرون وبين لوم أمة النملة حيث لم يأخذوا حذرهم، ويدخلوا مساكنهم؛ ولذلك تبسَّم نبي الله ضاحكًا من قولها، وإنه لموضع تعجب وتبسم "[1].

وأحسن من عبر عن هذا المشهد المهيب صاحب في ظلال القرآن رحمة الله عليه، فقد حرَّر ذلك في لغة أدبية سلسة ماتعة، حيث كتب:" لقد سار الموكب، موكب سليمان من الجن والإنس والطير في ترتيب ونظام، يجمع آخره على أوله، وتضم صفوفه، وتتلاءم خطاه، حتى إذا أتوا على واد كثير النمل، حتى لقد أضافه التعبير إلى النمل فسماه وادي النمل، قالت نملة لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي، ومملكة النمل كمملكة النحل دقيقة التنظيم، تتنوع فيها الوظائف، وتؤدى كلها بنظام عجيب، يعجز البشر غالبًا عن اتباع مثله على ما أوتوا من عقل راق وإدراك عالٍ، قالت هذه النملة للنمل بالوسيلة التي تتفاهم بها أمة النمل، وباللغة المتعارفة بينها، قالت للنمل: ادخلوا

(١) بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم الجوزية، ٢ / ٢٨٠.

مساكنكم كي لا يحطمنكم سليمان وجنوده، وهم لا يشعرون بكم.

فأدرك سليمان ما قالت النملة، وهش له، وانشرح صدره بإدراك ما قالت، وبمضمون ما قالت، هش لما قالت كما يهش الكبير للصغير الذي يحاول النجاة من أذاه، وهو لا يضمر أذاه، وانشرح صدره لإدراكه، فهي نعمة الله عليه تصله بهذه العوالم المحجوبة المعزولة عن الناس لاستغلاق التفاهم بينها وقيام الحواجز، وانشرح صدره له؛ لأنه عجيبة من العجائب أن يكون للنملة هذا الإدراك، وأن يفهم عنها النمل فيطيع، أدرك سليمان هذا فتبسم ضاحكًا من قولها ... "[١] ووادي النمل يجوز أن يكون مرادًا به الجنس لأن للنمل شقوقًا ومسالك هي بالنسبة إليها كالأودية للساكنين من الناس، ويجوز أن يراد به مكان مشتهر بالنمل غلب عليه هذا المضاف، كما سمي وادي السباع موضع معلوم بين البصرة ومكة، قيل: واد النمل في جهة الطائف، وقيل غير ذلك، وكله غير ظاهر من سياق الآية[٢] ولفظة: مساكنكم تدل على أن لهم بيوتًا ومساكن، ومجال معيشة، وكسب أرزاق ...؛ لذلك تجده يتتبع مواضع الطعام والفضلات، ويدخل إليها من أضيق الأماكن، لكن نرى مثلا محلات الحلوى مليئة بالسكر الذي يعشقه النمل، ومع ذلك لا نجد في هذه المحلات نملة واحدة، ما السر الكامن وراء هذا المشهد؟ والجواب أنهم لما تتبعوا هذه الظاهرة بالدراسة والبحث والتحليل العميق وجدوا أن النمل لا يدخل المكان إذا كان به سمسم، وتلك من عجائب النمل أيضًا[٣].

إن المتأمل بعين البصر والبصيرة في قول النملة يلحظ: " ما تتميز به مملكة النمل من نظام يعرف فيه كل مهمته، ويؤديها على أكمل وجه، فهذه النملة لا بد أنها كانت تقوم بمهمة الحراسة، وتقف في الدرك، ترقب الجو من حولها، وكأنها جندي الدورية اليقظ"[٤].

---

(١) في ظلال القرآن، ٥ / ٢٦٣٦ .

(٢) التحرير والتنوير، ١٩ / ٢٤٠ -٢٤١ .

(٣) تفسير الشعراوي الموسوم بـــ: الخواطر، ١٧ / ١٠٧٦٠ .

(٤) تفسير الشعراوي الموسوم بـــ: الخواطر، ١٧ / ١٠٧٥٩.

ولما رأى نبيُّ الله سليمان عليه السلام تيك المعجزة الباهرة تبسَّم ضاحكًا من قول النمل، وذلك عين ما قصه الله علينا في قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(1) فتبسُّم سليمان عليه السلام يحمل في طياته إعجابه الشديد بفصاحة تلك النملة، وحرصها على نصح قومها، ودقة تعبيرها، وجمال أسلوبها: " وهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الأدب الكامل، والتعجب في موضعه، وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسُّم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب، وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه يدل على شراسة الخلق والجبروت، والرسل منزهون عن ذلك.

وقد قال نبي الله سليمان عليه السلام شاكرًا لله الذي أوصله إلى هذه الحال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ أي: ألهمني ووفقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ فإن النِّعمة على الوالدين نعمة على الولد، فسأل ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته الدينية والدنيوية عليه وعلى والديه ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ أي: ووفقني أن أعمل صالحًا ترضاه؛ لكونه موافقًا لأمرك مخلصًا فيه، سالما من المفسدات والمنقصات ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ﴾ التي منها الجنة في جملة عبادك الصالحين، فإن الرحمة مجعولة للصالحين على اختلاف درجاتهم ومنازلهم، فهذا نموذج ذكره الله من حالة سليمان عند سماع خطاب النملة وندائها(2).

ونستنتج من الآية الكريمة وجوب البر بالوالدين والدعاء لهما بعد موتهما(3) وفراقهما لهذه الحياة الدنيا.

إن المتأمل في الآية بتدبر وتمعُّن يجد أن تبسُّم سليمان عليه السلام يدل على سرور بعبارة

---

(1) سورة النمل، الآية رقم 19 .

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ 706 .

(3) انظر: التفسير المنير، 19 / 277 .

النملة؛ ولذلك أكد التبسم بقوله: ضاحكا، إذ قد يكون التبسُّم من غير ضحك ولا رضا، ألا تراهم يقولون تبسَّم تبسُّم الغضبان، وتبسم تبسُّم المستهزئين، وتبسُّم الضحك إنما هو عن سرور، ولا يسر نبي بأمر دنيا، وإنما سر بما كان من أمر الآخرة والدين[1].

هذا، وإن من فوائد تينك الآيتين الكريمتين ما يلي:

فضل النمل على كثير من المخلوقات الأرضية، ويتضح ذلك في قيام النملة بعملية المناصحة لأخواتها وشفقتها عليهن، وتحذيرهن من مغبة عدم الانقياد إلى النصيحة والتوجيه الصادر منها، ينضاف إلى ما سبق شدة ذكاء النمل وفطنته وتيقظه، وشعوره بمسؤولية الأمانة والتوجيه مما أضحك سليمان عليه السلام، وجعله يتعجب من صنيعه، ووجوب الشكر عند مشاهدة النعمة ورؤية الفضل من الله عز وجل، وتقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا الحديث لا يتأتى له إلا بالوحي الإلهي[2] لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن حاضرًا المشهد حتى يقف على جميع تفاصيله وخباياه وأحداثه.

فاللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، ولك الحمد على نعمة الهداية لهذا الدين القويم، ولك الحمد على نعمة القرآن، ولك الحمد على نعمة الأهل والولد والمعافاة، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من بعد.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ١٣ / ١٧٠، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: ٢ سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للشيخ أبي بكر الجزائري، ٤ / ١٣، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: ٥ سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

الفصل الثالث
الأحكام الفقهية المتعلقة
بقصة نملة سليمان عليه السلام

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: حكم أكل الطعام الذي وقع فيه النمل ومات.

المبحث الثاني: حكم قتل النمل.

المبحث الثالث: حكم بيع الحشرات.

المبحث الرابع: حكم الضحك في الإسلام .

المبحث الأول

حكم أكل الطعام الذي وقع فيه النمل ومات

صورة المسألة.

إذا وقع النمل في طعام ما ومات داخله، وصعب إخراجه منه؟، أو أخرج منه، فهل يحل أكل ذلك الطعام، أم لا يحل؟؛ لأنه ربما بقيت أجزاء منه في ذلك الطعام، وما إن كان هذا النمل قد أكل شيئًا نجسًا من قبل، أو مر على نجاسة قبل أن يقع في الطعام، وإذا وقع النمل في العسل فماذا نفعل؟، هل يكفي تجنب عين النملة، أم إن العسل كله يصبح نجسًا؟

تلك هي صورة المسألة التي سنورد أقوال الفقهاء فيها، مع بيان مستند كل قول، ثم نختم ذلك ببيان وجهة نظرنا فيها.

وللجواب عن هذا التساؤل المطروح أقول وبالله أستمد العون والتوفيق:

إن فقهاءنا رحمات الله عليهم أجمعين تطرقوا لبيان الحكم الفقهي لهذه المسألة تحت كتاب الطهارة، في سياق حديثهم عن حكم ميتة مالا نفس له سائلة، وفيما يلي بيان آرائهم.

رأي الحنفية.

يقول الإمام علاء الدين السمرقندي الحنفي رحمة الله عليه في معرض دراسته للمسألة: " ثم الحيوان إذا مات في المائع القليل، فلا يخلو: إما إن كان له دم سائل، أو لم يكن، ولا يخلو: إما أن يكون بريًّا أو مائيًّا، ولا يخلو إما إن مات في الماء، أو في غير الماء.

أما إذا لم يكن له دم سائل، فإنه لا ينجس بالموت، ولا ينجس ما يموت فيه من المائع كيفما كان عندنا، خلافا للشافعي إلا فيما فيه ضرورة على ما ذكرنا ...

وأما إذا مات في غير الماء: ذكر الكرخي عن أصحابنا أن كل مالا يفسد الماء لا يفسد غير الماء "(١).

يرى الإمام السمرقندي أن الحيوان إذا لم يكن له دم سائل، ووقع في الطعام المأكول، ويدخل النمل في ذلك دخولًا أوليًّا، فإن ذلك الطعام الذي وقع فيه لا يتنجس بموته، وهذا يعني أن ميتة النمل طاهرة، فالنمل ليس له دم سائل، وقد استند رحمه الله في بيان وجهة نظره إلى ضابط فقهي مفاده: أن كل مالا يفسد الماء لا يفسد غير الماء، فإذا وقع النمل في الماء فإنه لا ينجسه، وكذلك الحال إن وقع في الطعام فإنه لا ينجسه أيضًا.

رأي المالكية.

جاء في حاشية الدسوقي على الشرح الكبير في معرض حديثه عن حكم ميتة مالا نفس له سائلة: " إن قع في طعام ومات فيه، فإن كان الطعام متميزًا عنه، أكل الطعام وحده كان أقل من الطعام أو أكثر منه، أو مساويًا له، وإن لم يتميز عن الطعام واختلط به، فإن كان أقل من الطعام أكل هو والطعام، وإن كان أكثر من الطعام أو مساويًا له لم يؤكل، فإن شك في كونه أقل من الطعام أكل أو لا أكل مع الطعام؛ لأن الطعام لا يطرح بالشك، وليس هذا كضفدعة شك في كونها بحرية أو برية فلا تؤكل؛ لأن هذا شك في إباحة الطعام، وإباحته فيما نحن فيه محققة، والشك في الطارئ عليها، وما ذكرناه من التفصيل فهو لابن يونس، وهو المعول عليه.

وقال عبد الوهاب: إذا وقع مالا نفس له سائلة في طعام ومات فيه، أو كان حيًّا، جاز أكله مطلقًا تميز عن الطعام أم لا، كان أكثر من الطعام، أو مساويًا له، أو أقل منه، وقد بنى ذلك على مذهبه من أن ما لا نفس له سائلة لا يفتقر لذكاة، وهذا كله في الواقع في الطعام، وأما المتخلق منه كسوس الفاكهة، ودود المش، والجبن، فإنه يجوز أكله مع الطعام

(١) تحفة الفقهاء للإمام علاء الدين السمرقندي، ١ / ١١٦ – ١١٨، الناشر: مكتبة دار التراث، القاهرة، ط: ٣ سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

مطلقًا، حيًّا أو ميتًا، كان قدر الطعام، أو أقل منه، أو أكثر، ولا يفتقر لذكاة كما قاله ابن الحاجب ..."[1].

إن المتأمل في ذا النص الفقهي يلحظ فيه التفصيل التالي، فميتة مالا نفس له سائلة إن وقع في طعام ومات فيه، ينظر إن كان الطعام الذي وقع فيه متميزًا، فإنه يؤكل وحده، سواء كان النمل قليلًا، أو كثيرًا، أو مساويًا للطعام، وإن لم يمكن تمييزه عن الطعام، فينظر إن كان النمل الواقع فيه قليلًا أكل معه، وإن كان كثيرًا، أو مساويًا له لم يؤكل.

ويرى الإمام عبد الوهاب رحمة الله عليه أنه إن وقع مالا نفس له سائلة في الطعام ومات فيه، أو بقي حيًّا فيه، فإنه يؤكل ذلك الطعام، أمكن تمييزه عنه أم لا، كان النمل قليلًا، أو كثيرًا، أو مساويًا له، ومستنده الفقهي هو أن مالا نفس له سائلة لا يفتقر إلى ذكاة، وهذا يعني طهارة ميتة النمل، وعدم نجاسته.

رأي الشافعية.

يقول الإمام النووي رحمة الله عليه في بيان رأي أصحابه: " قال الشافعي والأصحاب: ما نهى عن قتله حرم أكله؛ لأنه لو حل أكله لم ينه عن قتله، كما لو لم ينه عن قتل المأكول، فمن ذلك النمل والنحل فهما حرام "[2].

فالشافعي رحمة الله عليه وأصحابه يرون عدم طهارة وحلية الطعام الذي وقع فيه النمل، وقد استند في رأيه ذاك إلى ضابط فقهي مفاده: أن ما نهي عن قتله حرم أكله، فلو جاز أكل الطعام الذي وقع فيه النمل لم ينه عن قتله، وفي مسألتنا هذه وجدنا الشارع الحكيم صلى الله عليه وسلم ينهى عن قتل النمل مما يدل دلالة واضحة على حرمة أكله وتعاطيه.

---

(١) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١ / ٤٨، الناشر: دار الفكر، بدون سنة الطبع.

(٢) المجموع شرح المهذب للإمام النووي ٩ / ٢٢، الناشر: دار الفكر بدون سنة الطبع.

رأي الحنابلة.

يعبر صاحب شرح منتهىٰ الإرادات عن رأي الحنابلة في تي المسألة، فيكتب: " وميتة ما لا نفس: أي دم له يسيل، كالخنفساء والعنكبوت، والذباب والنحل، والزنبور والنمل والدود من طاهر ... طاهرة؛ لحديث إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليمقله، فإن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر شفاء، وفي لفظ: فليغمسه كله، ثم ليطرحه[1].

وهذا عام في كل بارد وحار ودهن مما يموت الذباب بغمسه فيه، فلو كان ينجسه كان آمرًا بإفساده "[2].

ومستند الحنابلة في المسألة حديث الذباب السابق ذكره، ووجه استدلالهم به هو: أمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم بغمس الذباب كله حفاظًا علىٰ الطعام أو الشراب، وفيه دليل الطهارة، ونلحظ هنا قياسهم النمل في ذلك علىٰ الذباب، فإذا وقع في الطعام فإنه لا ينجسه، وهو طعام طاهر يؤكل ولا يطرح في صندوق القمامة، ولأن الأصل في تلكم الأعيان الطهارة، ويجب استصحاب البراءة الأصلية دومًا، وممن نحىٰ هذا المنحىٰ، وانتصر لذاك الرأي الإمام الشوكاني رحمة الله عليه في كتابه القيم الموسوم بـــ: نيل الأوطار شرح منتقىٰ الأخبار، وقد ورد فيه باب أن مالا نفس له سائلة لم ينجس بالموت، وفيه ذكر حديث الذبابة[3].

وجهة نظر

إن النمل الواقع في الطعام أو الشراب إذا أمكن إزالته منه، فإنه يزال، ثم يتناول لسبب مهم، وهو نهي النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن قتله، وهو عين الدليل الذي اتكأ عليه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدىٰ جناحيه داء وفي الأخرىٰ شفاء، رقم ح (٣٣٢٠).

(٢) شرح منتهىٰ الإرادات لمنصور البهوتي، ١ / ١٠٧، الناشر: عالم الكتب، ط: ١ سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(٣) انظر: نيل الأوطار للإمام الشوكاني ١ / ٧٧، الناشر: دار الحديث، مصر، ط: ١ سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

الشافعية في تحرير وتعليل رأيهم الفقهي في المسألة.

أما إن تعذر إزالته من الطعام، فإنه يؤكل معه، ولا حرج حينئذ؛ لأن ميتة ما لا نفس له سائلة لا يفتقر إلى ذكاة، والعلم عند الله تعالى.

المبحث الثاني
حكم قتل النمل

من المعلوم أن الشريعة الإسلامية السمحة الغراء تدعو إلى الرفق والرحمة بالإنسان والحيوان، ومن ذلك نهيه عن قتل النمل إلا عن ضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، فحين يكون النمل مؤذيًا للإنسان فإنه يقتل دفعًا لضرره؛ لأن صحة الإنسان حينئذ وسلامة بدنه مقدمة على حياة النمل وبقائه، والأدلة على ذلك ما يلي:

أولا: ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية، والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحديا "[(١)] ووجه الاستدلال من الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعد النمل من الفواسق الخمس التي تقتل في الحل والحرم، وفي هذا دليل على عدم جواز قتله إلا من ضرورة.

ثانيا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد، والصرد "[(٢)] وهو نص صريح في المسألة؛ ولذا علق الإمام النووي رحمة الله عليه على هذا الحديث بقوله: " وأما قتل النمل فمذهبنا أنه لا يجوز، واحتج أصحابنا فيه بحديث ابن عباس رضي الله عنه[(٣)].

ويقول النووي أيضا: " ولا يجوز قتل النمل، والنحل، والخطاف، والضفدع "[(٤)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، رقم ح (٣٣١٤) ومسلم في صحيحه، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم، رقم ح (١١٩٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) طائر فوق العصفور، وأجاز مالك أكله، وقال ابن العربي: إنما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله لأن العرب كانت تشاءم به فنهي عن قتله ليزول ما في قلوبهم من اعتقاد التشاؤم. نيل الأوطار للإمام الشوكاني، ٨ / ١٤٣، الناشر: دار الحديث، مصر، ط: ١ سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

(٤) روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي، ٣ / ١٤٦، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط: ٣ سنة ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

وقد ورد في الموسوعة الفقهية الكويتية: "كره الشارع قتل بعض الحشرات كالضفدع؛ لما روىٰ عبد الرحمن بن عثمان قال: ذكر طبيب عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم دواء، وذكر الضفدع يجعل فيه، فنهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن قتل الضفدع(١) وقال صاحب الآداب الشرعية: ظاهره التحريم.

وكره قتل النمل والنحل؛ لما روىٰ ابن عباس رضي الله عنهما قال: نهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد، والصرد(٢).

واستثنىٰ الفقهاء النمل في حالة الأذية، فإنه حينئذ يجوز قتله، وفصل المالكية فأجازوا قتل النمل بشرطين: أن تؤذي، وأن لا يقدر علىٰ تركها، وكرهوه عند الإذاية مع القدرة علىٰ تركها، ومنعوه عند عدم الإذاية، ولا فرق عندهم في ذلك بين أن تكون الإذاية في البدن أو المال.

وقد ذهب الحنفية والمالكية إلىٰ جواز قتل الحشرات، لكن المالكية شرطوا لجواز قتل الحشرات المؤذية أن يقصد القاتل بالقتل دفع الإيذاء لا العبث، وإلا منع حتىٰ الفواسق الخمس التي يباح قتلها في الحل والحرم.

وقسم الشافعية الحشرات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما هو مؤذٍ منها طبعًا، فيندب قتله كالفواسق الخمس، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: أمر الرسول صلىٰ الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق في الحرم: الحدأة، والغراب، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور(٣) وألحق بها البرغوث، والبق، والزنبور، وكل مؤذٍ.

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه، باب النهي عن قتل الضفدع والنحلة، رقم ح (٢٠٤١) الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط: ١ سنة ١٤١٢هـــــ ٢٠٠٠م.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

الثاني: ما ينفع ويضر، فلا يسن قتله، ولا يكره.

الثالث: ما لا يظهر فيه نفع ولا ضرر، كالخنافس، والجعلان، والسرطان، فيكره قتله.

ويحرم عندهم قتل النمل السليماني، والنحل، والضفدع، أما غير السليماني، وهو الصغير المسمى بالذر، فيجوز قتله بغير الإحراق، وكذا بالإحراق إن تعين طريقًا لدفعه.

وذهب الحنابلة إلى استحباب قتل كل ما كان طبعه الأذى من الحشرات، وإن لم يوجد منه أذى قياسًا على الفواسق الخمس، فيستحب عندهم قتل الحشرات المؤذية كالحية، والعقرب، والزنبور، والبق، والبعوض، والبراغيث، وأما ما لا يؤذي بطبعه كالديدان، فقيل: يجوز قتله، وقيل: يكره، وقيل: يحرم، وقد نصوا على كراهة قتل النمل إلا من أذية شديدة، فإنه يجوز قتلهن، وكذا القمل "[1].

فالمتأمل في ذا النص الفقهي يجد فقهاءنا قد صنفوا النمل في جملة الحشرات، والحنفية يرون جواز قتل الحشرات، وكرهوا قتل النمل، يقول صاحب تحفة الملوك: " ويكره قتل النملة ما لم تبدأ بالأذى "[2] أما المالكية فشرطوا لجواز قتل الحشرات أن يكون الدافع إليه هو دفع الأذى وتوقيه، وأجازوا قتل النمل خاصة بشرطين هما: أن تؤذي، وأن لا يقدر على تركها، وقد سئل الإمام مالك رحمه الله عن حكم قتل النمل، فأجاب بقوله: " إن قدرتم على أن تمسكوا عنها فافعلوا، وإن أضرتكم أرجو أن تكونوا من قتلها في سعة "[3].

والشافعية يرون عدم جواز قتل النمل السليماني، وقد قرر الإمام الرملي رحمة الله عليه

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، ١٧/ ٢٨٢ - ٢٨٤، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

(٢) تحفة الملوك في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي صـ ٢٤٠، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١٧هـ.

(٣) شرح زروق على متن الرسالة، ٢ / ١١٠٦، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١ سنة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، والذخيرة للإمام القرافي، ١٣ / ٢٨٧، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١ سنة ١٩٩٤م، والمعونة على مذهب عالم المدينة للقاضي عبد الوهاب المالكي، صـ ١٧٣٤، الناشر: المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

ذلك بقوله: " ويحرم قتل النمل السليماني والنحل "[1] ولعل ذلك آيل إلى فضل نملة سليمان عليه السلام، وكونها بركة على أبناء جنسها، وإن كنت لا أرى ذلك مبررًا أو مسوغًا لعدم جواز قتله في حال صدور أذى منه؛ لأن الأصل هو النهي عن قتل النمل، وقد نص حديث ابن عباس على هذا، والنبي عليه الصلاة والسلام لم يفرق بين نوع ونوع، وإنما ورد النهي مطلقًا عن كل قيد واعتبار، فهو ينصب على جميع أنواع النمل، فتخصيص نوع من النمل بحكم خاص دون بقية الأنواع أراه تحكمًا لا دليل عليه، حيث يجوز قتل النمل في حالة واحدة، وهي قصد دفع الأذى الصادر من ناحيته، سواء كان نملًا سليمانيًّا أو غير سليماني.

وأما قولهم بجواز قتل النمل غير السليماني بغير الإحراق وبالإحراق إن تعين طريقًا لدفعه، فهو الآخر تحكم لا دليل عليه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الحرق والتعذيب بالنار، فقال عليه الصلاة والسلام: " لا يعذب بالنار إلا رب النار "[2] فالنهي عن التعذيب بالنار عام يتناول جميع مخلوقات الله عز وجل من إنس وجن وحيوان، ولم يفرق في ذلك بين مخلوق ومخلوق، ولو جاز حرق النمل غير السليماني بالنار لأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بذلك، والدواعي متوفرة على نقل مثل هذا الخبر؛ لأنه مما يعم به البلوى.

أما الحنابلة فإنهم يميلون إلى استحباب قتل كل ما كان طبعه الأذى من الحشرات، وإن لم يوجد منه أذى، وهم يستندون في تعليلهم ذاك إلى مبدأ المقايسة، فكل ما كان طبعه الأذى يقتل قياسًا على الفواسق الخمس التي ورد النص عليها في الحديث، وهو تعليل جيد ووجيه، وبالنسبة للنمل خاصة فإنهم كرهوا قتله إلا من أذية شديدة، فيقتل حينئذ لدفع ضرره وأذاه.

---

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للإمام الرملي ٣ / ٣٤٤، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

(٢) تقدم تخريجه.

يقول الإمام البهوتي رحمة الله عليه: " ويكره قتل النمل إلا من أذية شديدة، فإنه يجوز قتلهن وقتل القمل بغير النار، ويكره قتلهما بالنار "(١).

وقد يستدل لجواز قتل النمل الذي يتضرر من بقائه على قيد الحياة بالأدلة التالية:

أولًا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " قرصت نملة نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح؟! ..."(٢).

ثانيًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، وأمر بها فأحرقت في النار، فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة "(٣).

ووجه الاستدلال بذينك الحديثين هو: عتاب الله جل جلاله لذلك النبي الكريم على صنيعه في قتل أمة النمل، ومؤاخذتها بجريرة فرد واحد من أفرادها، وأنه إن كان ولابد من القصاص والمؤاخذة والعقاب على الذنب فليقتصر على ذلك النمل الذي زاول عملية القرص أو العض؛ ولذلك قال له: فهلا نملة واحدة، والحديث يدل على جواز قتل النمل المؤذي للإنسان؛ ولذلك علق القاضي عياض رحمة الله عليه على الحديث بقوله: " فيه دليل على قتل النمل وكل مؤذ، لكن الله تعالى عتبه على التشفي لنفسه بقتله هذه الأمة العظيمة المسبحة بسبب واحدة، وقيل كان عتبه على ذلك بسبب ما جاء في خبر أنه مر بقرية أهلكها الله تعالى، فقال: يا رب قد كان فيهم صبيان ودواب، ومن لم يقترف ذنبًا، ثم إنه نزل تحت شجرة فجرت له هذه القصة التي قدرها الله تعالى على يده تنبيها له على ما سبق منه، وفيه أن الجنس المؤذي يقتل وإن لم يؤذ، وتقتل أولادها، وإن لم تبلغ الأذى على أحد القولين، ثم حكي عن الإمام المازري أنه قال يكره قتل النمل عندنا

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع، ٢ / ٤٣٩.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

إلا أن يؤذي، ولا يقدر على دفعهم إلا بالقتل فيستخف "[1] والإمام المازري رحمه الله مالكي المذهب، وهو يشير بهذا إلى الشرطين اللذين ذكرهما المالكية في شأن جواز قتل النمل.

وقد علق الإمام القرطبي رحمة الله عليه على حديث قرص النمل لذاك النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وكتب كلامًا في غاية الدقة والنفاسة، يقول: " فليس في الحديث ما يدل على كراهة ولا حظر في قتل النمل، فإن من آذاك حل لك دفعه عن نفسك، ولا أحد من خلقه أعظم حرمة من المؤمن، وقد أبيح لك دفعه عنك بقتل وضرب على المقدار، فكيف بالهوام والدواب التي قد سخرت لك وسلطت عليها، فإذا آذاك أبيح لك قتله، وروي عن إبراهيم: ما آذاك من النمل فاقتله، وقوله: ألا نملة واحدة، دليل على أن الذي يؤذي يؤذى ويقتل، وكلما كان القتل لنفع أو دفع ضرر فلا بأس به عند العلماء، وأطلق له نملة ولم يخص تلك النملة التي لدغت من غيرها؛ لأنه ليس المراد القصاص لأنه لو أراده لقال ألا نملتك التي لدغتك، ولكن قال: ألا نملة مكان نملة، فعم البريء والجاني بذلك ليعلم أنه أراد أن ينبهه لمسألته ربه في عذاب أهل قرية، وفيهم المطيع والعاصي، وقد قيل: إن هذا النبي كانت العقوبة للحيوان بالتحريق جائزة في شرعه، فلذلك إنما عاتبه الله تعالى في إحراق الكثير من النمل لا في أصل الإحراق، ألا ترى قوله: فهلا نملة واحدة، أي هلا حرقت نملة واحدة، وهذا بخلاف شرعنا، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التعذيب بالنار، وقال:" لا يعذب بالنار إلا الله "[2] وكذلك أيضًا كان قتل النمل مباحا في شريعة ذلك النبي، فإن الله لم يعتبه على أصل قتل النمل، وأما شرعنا فقد جاء من حديث ابن عباس وأبي هريرة النهي عن ذلك، وقد كره مالك قتل النمل إلا أن يضر ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل، وقد قيل: إن هذا النبي إنما عاتبه الله

(١) طرح التثريب في شرح التقريب لأبي الفضل العراقي ٧ / ١٩٠ – ١٩١، الناشر: المطبعة المصرية القديمة بدون ذكر سنة الطبع.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ١٤ / ١١٨ – ١١٩، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمع آذاه واحد، وكان الأولى الصبر والصفح، لكن وقع للنبي أن هذا النوع مؤذ لبني آدم، وحرمة بني آدم أعظم من حرمة غيره من الحيوان غير الناطق، فلو انفرد له هذا النظر، ولم ينضم إليه التشفي الطبعي لم يعاتب، والله أعلم، لكن لما انضاف إليه التشفي الذي دل عليه سياق الحديث عوتب عليه، ... قوله: أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح، مقتضى هذا أنه تسبيح بمقال ونطق كما أخبر الله عن النمل أن لها منطقًا وفهمه سليمان عليه السلام، وهذا معجزة له ... "(١).

وقال الإمام أبو العباس القرطبي رحمة الله عليه: " ظاهر هذا الحديث أن هذا النبي إنما عاتبه الله تعالى حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمع أذاه منه واحد، وكان الأولى به الصبر والصفح لكن وقع للنبي أن هذا النوع مؤذ لبني آدم، وحرمة بني آدم أعظم من حرمة غيره من الحيوان غير الناطق، فلو انفرد له هذا النظر، ولم ينضم إليه التشفي لم يعاتب، والله أعلم، لكن لما انضاف التشفي الذي يدل عليه سياق الحديث عوتب عليه، والذي يؤيد ما ذكرنا التمسك بأصل عصمة الأنبياء، وأنهم أعلم الناس بالله وبأحكامه، وأشدهم له خشية.

واعلم أن هذا الذي أطلق النووي من أنه لا يجوز قتل النمل عندنا محله في النمل الكبير المعروف بالسليماني، كذا قاله الخطابي والبغوي في أواخر شرح السنة، قال البغوي: وأما الصغير المسمى بالنمل فاسمه الذر، وقتله جائز بغير الإحراق، وفي الاستقصاء عن الإيضاح للصيمري أن الذي يؤذي منه يجوز قتله، بل يستحب، ونقل المحب الطبري شارح التنبيه عن الشافعي رحمه الله أنه أطلق كراهة قتل النمل، وهو يدل على كل حال على الجواز في الصغير فإنه إما عام أو خاص، وقد بوب أبو داود في سننه على هذا الحديث (قتل الذر) فدل على أنه فهم أن قصة هذا النبي كانت في الذر، فحينئذ يستوي حكمها

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ١٣ / ١٧٣ - ١٧٤، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: ٢ سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

عندنا، وفي شريعته... "[١].

وقد يستشكل على هذا الدليل في كونه ورد حكاية وبيانا لشرع من قبلنا من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ويرد على هذا الإشكال بالقول بأنه ورد في شرعنا أيضًا أدلة كثيرة تدل على ضرورة دفع الأذى ووجوب التوقي منه قدر الإمكان والطاقة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " لا ضرر ولا ضرار "[٢]

ثالثًا: من القواعد الفقهية التي يستأنس بها على جواز قتل النمل إذا كان مؤذيًا للإنسان قاعدة: الضرر يزال، وقاعدة الضرورات تبيح المحظورات، فيحظر قتل النمل من غير ضرورة ملجئة لنص حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ويباح قتله ضرورة في حال صدور أذية منه.

أما حكم الحرق بالنار الذي ورد في الحديث، فقد علق الإمام النووي رحمة الله عليه بقوله: " قال العلماء: وهذا محمول على أن شرع ذلك النبي عليه السلام كان فيه جواز قتل النمل، وجواز الإحراق بالنار ولم يعتب عليه في أصل القتل والإحراق، بل في الزيادة على النملة الواحدة، وأما في شرعنا فلا يجوز الإحراق بالنار للحيوان إلا إذا أحرق إنسانًا فمات بالإحراق فلوليه الاقتصاص بإحراق الجاني، وسواء في منع الإحراق بالنار القمل وغيره للحديث المشهور: لا يعذب بالنار إلا الله[٣]..."[٤].

(١) طرح التثريب في شرح التقريب ٧/ ١٩١.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ٤/ ١٠٧٨، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط: ١ سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب ٧/ ١٩٠ .

المبحث الثالث

حكم بيع الحشرات

المقصود بالحشرات:

الحشرات جمع حشرة، وهي مشتقة من مادة حشر التي تعني في اللغة السوق والبعث والانبعاث، يقول ابن فارس رحمة الله عليه في بيان معنى مادة حشر: " الحاء والشين والراء قريب المعنى من الذي قبله - يقصد مادة حشد -، وفيه زيادة معنى، وهو السوق والبعث والانبعاث، وأهل اللغة يقولون: الحشر الجمع مع سوق، وكل جمع حشر، والعرب تقول: حشرت مال مال بني فلان السنة كأنها جمعته، ذهبت به وأتت عليه ....، ومن أسماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحاشر، معناه أنه يحشر الناس على قدميه، كأنه يقدمهم يوم القيامة، وهم خلفه، ومحتمل أن يكون لما كان آخر الأنبياء حشر الناس في زمانه.

وحشرات الأرض: دوابها الصغار، كاليرابيع والضباب وما أشبهها، فسميت بذلك لكثرتها وانسياقها وانبعاثها، والحشور من الرجال: العظيم الخلق أو البطن "(١).

وقيل: هي: هوام الأرض مما لا سم له(٢).

حكم بيع الحشرات:

اتفق الفقهاء على عدم جواز بيع الحشرات التي لا نفع فيها، إذ يشترط في المبيع أن يكون منتفعًا به، فلا يجوز بيع الفئران، والحيات والعقارب، والخنافس، والنمل ونحوها إذ لا نفع فيها يقابل بالمال، أما إذا وجد من الحشرات ما فيه منفعة فإنه يجوز بيعه كدود القز،

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢ / ٦٦ ـ٦٧، الناشر: دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٢) معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي وحامد صادق قنبي، صـ ١٨٠، الناشر: دار النفائس، ط: ٢ سنة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

حيث يخرج منه الحرير الذي هو أفخر الملابس، والنحل حيث ينتج العسل[1].

يقول الإمام الحصكفي الحنفي رحمة الله عليه في معرض ذكره لما يصح بيعه من الحشرات ومالا يصح: " ويباع دود القز، أي الإبريسم، وبيضه، أي بزره، وهو بزر الفيلق الذي فيه الدود، والنحل المحرز، وهو دود العسل، وهذا عند محمد، وبه قالت الثلاثة ...، بخلاف غيرهما من الهوام، فلا يجوز اتفاقًا كحيات وضب وما في بحر كسرطان، إلا السمك وما جاز الانتفاع بجلده أو عظمه "[2].

فالحصكفي يرىٰ جواز بيع دود القز؛ لأنه يستخرج منه الحرير، والنحل أيضًا لكونه ينتج لنا عسلًا شهيًّا فيه شفاء للناس من أدوائهم وعللهم التي تنتابهم، وما عداهما من بقية هوام الأرض وحشراتها فلا يصح بيعها اتفاقًا.

ويقول الإمام المواق رحمة الله عليه – فقيه مالكي – في معرض تعداده للشروط التي يجب توافرها في المعقود عليه عند مباشرة عقد البيع وأدائه: " يشترط في المعقود عليه أن يكون منتفعًا به، فلا يصح بيع ما لا منفعة فيه؛ لأنه من أكل أموال الناس بالباطل "[3].

فهذا الفقيه المالكي يرىٰ عدم صحة بيع الحشرات إذ لا فائدة ترتجىٰ من وراء بيعها، ويعلل طرحه ذاك بأنه من باب أكل أموال الناس بالباطل.

ويقول في موضع آخر: "يشترط في المعقود عليه أن يكون منتفعًا به، فيجوز بيع المنتفع به لا ما لا منفعة فيه فلا يجوز العقد به ولا عليه، والدليل علىٰ ذلك ما تقدم من أنه من أكل المال بالباطل، وذلك كمحرم الأكل إذا أشرف علىٰ الموت، واعلم أن الأعيان علىٰ

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، ١٧ / ٢٨٠ .

(٢) رد المحتار علىٰ الدر المختار لابن عابدين ٥ / ٦٨، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: ٢ سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

(٣) التاج والإكليل لمختصر خليل، للإمام المواق المالكي ٦ / ٦٤، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: ١ سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٤م.

قسمين: الأول: ما لا منفعة فيه أصلًا، فلا يصح العقد به ولا عليه لما تقدم، بل لا يصح ملكه كما صرح به المازري، وابن شاس، والقرافي، ومثله بالخشاش، ومثله البساطي بالخفاش، وبعض العصافير التي لو جمع منها مائة لم يتحصل منها أوقية لحم، وذلك داخل في كلام القرافي أو قريب منه، الثاني: ما له منفعة، وهو على ثلاثة أقسام ... "(1).

ويقول الشيخ زروق المالكي رحمة الله عليه في شرحه على متن الرسالة: " الثالث: المعقود عليه، وهو الثمن والمثمون، وشرطه أن يكون طاهرًا، منتفعًا به، مقدورًا على تسليمه، غير مخصوص بنهي في بيعه أو ملكه، معلوم القدر والصفة "(2).

وبالنسبة للفقه الشافعي، فإن الإمام الرملي الشافعي رحمه الله يحرر رأي الشافعية في المسألة، فيقول: " الثاني: من شروط المبيع النفع به شرعًا، ولو مآلا كجحش صغير ماتت أمه كما في الأنوار، وأفتى به الوالد رحمه الله تعالى؛ لأن بذل المال فيما لا نفع فيه سفه، وأخذه أكل له بالباطل، فلا يصح بيع الحشرات، وهي صغار دواب الأرض كفأرة، وخنفساء، وحية، وعقرب، ونمل، ولا عبرة بما يذكر من منافعها في الخواص، ويستثنى نحو يربوع وضب مما يؤكل، ونحل، ودود قز، وعلق لمنفعة امتصاص الدم "(3).

فالرملي يرى عدم جواز بيع ما لا نفع فيه، ومن ذلك حشرات الأرض ودوابها الصغار، بل يسم من يتعاطى مثل هذا النوع من البيوع بالسفه والطيش، وأكل أموال الناس بالباطل، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم أكل أموال الناس بالباطل، وقد استثنى من ذلك اليربوع والضب، والنحل، ودود القز.

ويقول الإمام البهوتي رحمة الله عليه - وهو حنبلي المذهب -: " الشرط الثالث: أن يكون المبيع والثمن مالًا؛ لأنه مقابل بالمال، إذ هو مبادلة المال بالمال، وهو أي المال شرعًا:

---

(1) المصدر السابق ٤ / ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(2) شرح زروق على متن الرسالة ٢ / ٧١٨ .

(3) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ٣ / ٣٩٥ .

ما فيه منفعة، أو لغير حاجة ضرورة، فخرج ما لا نفع فيه أصلًا كالحشرات، وما فيه منفعة محرمة كالخمر ....، ويصح بيع دود قز وبزره قبل أن يدب؛ لأنه طاهر يخرج منه الحرير الذي هو أفخر الملابس، بخلاف الحشرات التي لا نفع فيها "(١).

فالحنابلة يرون عدم صحة بيع الحشرات، ويستثنون من ذلك دود القز نظرًا لفائدته.

إن الناظر بعمق في مدوناتنا الفقهية العتيقة يجد فقهاءنا رحمات الله عليهم أجمعين حين يدرسون الشروط التي يجب توافرها في المعقود عليه في تضاعيف دراساتهم الفقهية العميقة المؤصلة، يذكرون أن من ضمن تلكم الشروط أن يكون المعقود عليه منتفعًا به شرعًا، وعليه فإنه لا يصح بيع الحشرات التي لا نفع فيها، ولا يصح بيع السباع والطيور التي لا نفع فيها؛ : " كالأسد والذئب والحدأة والغراب غير المأكول، ولا يصح بيع آلة اللهو كالطنبور والصنج والمزمار والعود والأصنام، والصور وإن اتخذت من نقد للحرمة، ولأنه لا نفع بها شرعا، ولا يصح بيع حبتي حنطة ونحوها لعدم المالية "(٢).

فإذا ما تحولت تلك الحشرات التي كان لا نفع فيها إلى حشرات لها نفع وفائدة؛ كأن تستخدم في صناعة الأدوية، واللقاحات الطبية بقصد علاج الناس من أدوائهم وأسقامهم، إضافة إلى الأهداف العلمية الأخرى التي تعود بالنفع والخير على البشرية قاطبة، فإنه يجوز في تلك الحالة بيعها، والاستفادة منها في الأغراض الطبية؛ لأن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا كما يقول أهل العلم بالأصول والفقه والمقاصد، وقد أومأ إلى هذا الملحظ الإمام الحصكفي رحمه الله حيث يقول: " والحاصل أن جواز البيع يدور مع حل الانتفاع "(٣).

وهذا الملحظ الفقهي المؤصل على اعتبارات علمية يؤكد أصالة فقهنا الإسلامي، وأنه

---

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع للإمام منصور البهوتي ٣ / ١٥٢، الناشر: دار الكتب العلمية بدون سنة الطبع.

(٢) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي، ٥ / ٣٣٦٠، الناشر: دار الفكر، سورية، دمشق، ط: ٤ بدون سنة الطبع.

(٣) رد المحتار على الدر المختار ٥ / ٦٩ .

فقه حيٌّ وواقعيٌّ يتَّسمُ دائما بالحيوية والنشاط والفاعلية، وأنه يواكب حاجات الناس ومتطلباتهم، فلقد أنزلت هذه الشريعة المباركة الغراء: " من فوق سبع سموات، خاتمة للشرائع، ورحمة مهداة للأمم قاطبة، محفوظة من التبديل، محفوفة بعناصر الديمومة والخلود، لا يأتي عليها آتي البلىٰ والهرم كما أتىٰ علىٰ أديان ومذاهب وقوانين فنكر أعلامها، وأخفت صداها، فإذا هي في حساب الزمن صفحة مطوية، وأثر حائل، وما زالت هذه الشريعة إلىٰ يوم الناس غضة طرية تعد بالعطاء غب العطاء، وتزف الفتح تلو الفتح، يمدها المجتهدون في كل عصر بغذاء النماء والثراء، ويجددون إهابها بما يتناغم ومطالب العصر، فضلًا عما انطوت عليه من عناصر السعة والمرونة، ومنازع الاستشراف والاستبصار، وقواعد النظر الاجتهادي الكفيل بمواجهة النوازل المستأنفة "(١).

---

(١) صناعة الفتوىٰ في القضايا المعاصرة، معالم وضوابط وتصحيحات، للدكتور قطب الريسوني، صـ ٦٤ – ٦٥، الناشر: دار ابن حزم، ط: ١ سنة ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.

المبحث الرابع

حكم الضحك في الإسلام

الضحك في اللغة مصدر ضحك يضحك ضحكًا، فهو ضاحك، والضاد والحاء والكاف قريب من الباب الذي قبله كما يقول ابن فارس رحمة الله عليه[١] وهو دليل الانكشاف والبروز[٢] والضحك: انبساط الوجه وبدو الأسنان من السرور، والتبسم مبادئ الضحك، ويستعمل في السرور المجرد، وفي التعجب المجرد، ولا يخرج التعريف الاصطلاحي عن التعريف اللغوي، وقد حده بعض الفقهاء: بأنه ما يكون مسموعًا له لا لجيرانه[٣].

ومن الألفاظ ذات الصلة بالضحك: القهقهة، وهو الرجوع في الضحك، أو الاشتداد فيه، والتبسم: ما عرى عن الصوت، وهو مبادئ الضحك، وتبدو فيه الأسنان فقط[٤] وبين الضحك والقهقهة عموم وخصوص[٥] فكل قهقهة ضحك، وليس كل ضحك قهقهة.

موقف الإسلام من الضحك

الضحك إما أن يرد على وجه التبسم أو القهقهة، والأول جائز باتفاق العلماء، فقد ورد من حديث عبد الله بن الحارث رضي الله عنه أنه قال: " ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسُّمًا "[٦] وقال صلى الله عليه وسلم: " تبسُّمك في وجه أخيك صدقة "[٧].

---

(١) يقصد كلمة ضحى التي تدل على البروز والانكشاف.

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة ضحك، ٣ / ٣٩٣ .

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٨ / ١٧٣ .

(٤) المصدر السابق، ٢٨ / ١٧٣ – ١٧٤ .

(٥) المصدر السابق، ٣٤ / ٧٠ .

(٦) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، باب في بشاشة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ح (٣٦٤٢) وقال: حديث صحيح غريب.

(٧) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في صنائع المعروف، رقم ح (١٩٥٦) وقال: حديث حسن غريب.

يقول العلامة ابن القيم رحمة الله عليه في معرض بيانه لهدي النبي عليه الصلاة والسلام في كلامه وسكوته وضحكه وبكائه: " كان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله، وأعذبهم كلامًا، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقًا، حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب، ويسبي الأرواح، ويشهد له بذلك أعداؤه، وكان إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد، ليس بهذ مسرع لا يحفظ، ولا منقطع تخلله السكتات بين أفراد الكلام، بل هديه فيه أكمل الهدي، قالت عائشة: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه[1] وكان كثيرًا ما يعيد الكلام ثلاثًا ليعقل عنه، وكان إذا سلم سلم ثلاثا، وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلام، فصل لا فضول ولا تقصير، وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وإذا كره الشيء عرف في وجهه، ولم يكن فاحشًا ولا متفحِّشًا ولا صخَّابًا، وكان جل ضحكه التبسم، بل كله التبسم، فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه، وكان يضحك مما يضحك منه، وهو مما يتعجب من مثله، ويستغرب وقوعه ويستندر.

وللضحك أسباب عديدة هذا أحدها، والثاني: ضحك الفرح، وهو أن يرى ما يسره أو يباشره، والثالث: ضحك الغضب، وهو كثيرًا ما يعتري الغضبان إذا اشتد غضبه، وسببه تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضب، وشعور نفسه بالقدرة على خصمه، وأنه في قبضته، وقد يكون ضحكه لملكه نفسه عند الغضب، وإعراضه عمن أغضبه، وعدم اكتراثه به "[2]

وهذا هو الضحك المحمود الذي يحمد صاحبه، ويشكر على صنيعه، وهو على أنواع كما

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ح (٣٦٣٩) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، ١ / ١٧٥ – ١٧٦، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢٧، سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

قرر العلامة ابن القيم رحمة الله عليه، الضحك الحاصل نتيجة فرح وسرور، أو تعجب، والضحك الذي يقع من الإنسان في حال غضبه، ودافعه هو امتلاك الضاحك لنفسه عند الغضب، أو قدرته على كظم غيظه، كما ورد في الأثر: " ليس الشديد بالصرعة، وإنما الذي يملك نفسه عند الغضب "[1] ولا يقدر على مثل هذا الضحك ـــــ أعني الضحك الذي يصدر من الإنسان في حال غضبه وغيظه ـــــ إلا الرجال الأشداء الأقوياء الذين رزقهم المولى حظًّا وافرًا من الصبر والمصابرة والاحتساب، والعفو عند المقدرة، ويأتي في مقدمة أولئك الرجال الأفذاذ أنبياء الله ورسله الكرام الأخيار، وعلى رأسهم جميعا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر الإمام القرطبي رحمة الله عليه في معرض تفسيره لآية تبسُّم سليمان عليه السلام وضحكه عند سماعه مقالة النملة لبني جنسها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضحك في أحوال أخر ضحكًا أعلى من التبسم، وأقل من الاستغراق الذي تبدو فيه اللهوات، وكان في النادر عند إفراط تعجبه ربما ضحك حتى بدت نواجذه[2] صلى الله عليه وسلم.

هذا بالنسبة للضحك الصادر على وجه التبسُّم، وسببه شدة الفرح والسرور، أو التعجب الشديد من أمر من الأمور.

أما الضحك على سبيل القهقهة، فذاك هو الضحك المكروه الذي يذم صاحبه، ويعاب على صنيعه، وهو الذي كرهه الفقهاء، وورد النهي عن كثيره في الحديث، وأنه من أسباب قسوة القلب وغلظته وبعده عن الله، كما ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: " لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب "[3] وقد قال ثابت البناني رحمة الله عليه:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الحذر من الغضب، رقم ح (٦١١٤) وأخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل من يمسك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، رقم ح (٢٦٠٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٣ / ١٧٥ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٣ / ٤٥٨ - ٤٥٩، رقم ح (٨٠٩٥).

" ضحك المؤمن من غفلته "[١] يعني الغفلة عن يوم القيامة، وعدم تذكر الموت، ونسيانه بالكلية، ولولا تلك الغفلة، وذاك الحجاب الذي غشي القلب، وأبعده عن نور الله جل جلاله لما حصل ما حصل.

وقد سئل العلامة الدكتور يوسف القرضاوي عن موقف الإسلام من الضحك والمزاح، وكتب إليه السائل يقول: قد وجه إلي منذ سنوات سؤال مهم عن موقف الدين من الضحك والمرح والمزاح، قال السائل: هل يجوز للمسلم أن يضحك ويمزح، ويفرح ويمرح، وتصدر عنه النكات والطرائف والملح بالقول أو بالفعل فيضحك الآخرين؟

إن بعض الناس تكونت لديه فكرة أن الدين يحرم على الإنسان الضحك والمزاح والتنكيت والمداعبة، ويفرض عليه الجد والصرامة في كل أحواله، ويؤيدون هذا الاعتقاد بأمرين:

الأول: موقف كثير من المتدينين، أو المتحمسين للدين حيث لا يرى أحدهم إلا مقطب الجبين، عبوس الوجه، متجهمًا عند اللقاء، خشنًا في الكلام، فظًّا في المعاملة مع الناس، وخصوصًا غير المتدينين.

والثاني: بعض النصوص التي قرؤوها، أو سمعوها من بعض الوعاظ والخطباء، ففهموا منها أن الإسلام لا يرحب بالضحك والمرح والمزاح، مثل حديث: " لا تكثر من الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب "[٢] وحديث: " ويل للذي يحدث الحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له "[٣] وحديث وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان متواصل الأحزان ...[٤] وقوله تعالى على لسان قوم قارون: ﴿لَا تَفۡرَحۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾[٥].

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي صـ ٢٠٠، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط: ٣ سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، رقم ح (٢٣١٥).

(٤) كتاب الشريعة للإمام الآجري ٣/ ١٥٠٨، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، ط: ٢ سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٥) سورة القصص، الآية رقم ٧٦ .

وحسب قراءتي ومعلوماتي عن الإسلام، وهي محدودة، أعتقد أن هذا ظلم للإسلام الذي جاء بالاعتدال في كل شيء، فالرجاء توضيح موقف الإسلام في هذه القضية مؤيدًا بالأدلة الشرعية، نفع الله بكم، وجزاكم خيرا.

وقد أجاب الشيخ بقوله: الضحك من خصائص الإنسان، فالحيوانات لا تضحك؛ لأن الضحك يأتي بعد نوع من الفهم والمعرفة لقول يسمعه، أو موقف يراه فيضحك منه، ولهذا قيل: الإنسان حيوان ضاحك، ويصدق القول هنا: أنا أضحك، إذن أنا إنسان.

والإسلام بوصفه دين الفطرة لا يتصور منه أن يصادر نزوع الإنسان الفطري إلى الضحك والمرح والانبساط، بل هو على العكس يرحب بكل ما يجعل الحياة باسمة طيبة، ويحب للمسلم أن تكون شخصيته متفائلة باشة، ويكره الشخصية المكتئبة المتطيرة التي لا تنظر إلى الحياة والناس إلا من خلال منظار قاتم أسود.

حاجة الإنسان إلى اللهو

على أن حاجة الإنسان السوي إلى اللهو حاجة فطرية، ونجيب الذين اعترضوا على حل الألعاب المختلفة بأنها لهو، وهو مذموم، بما أجاب الإمام الغزالي عمن قال: إن الغناء لهو ولعب بقوله: " هو كذلك، ولكن الدنيا كلها لهو ولعب ...، وجميع المداعبة مع النساء لهو، إلا الحراثة التي هي سبب وجود الولد، وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال، نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة.

وأي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم، فقد ثبت بالنص إباحته، على أني أقول: اللهو مروح للقلب، ومخفف عنه أعباء الفكر، والقلوب إذا أكرهت عميت، وترويحها إعانة لها على الجد، فالمواظب على التفكر مثلًا ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة؛ لأن عطلة يوم تساعد على النشاط في سائر الأيام، والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات، ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات، فالعطلة

معونة على العمل، اللهو معين على الجد، ولا يصبر على الجد المحض، والحق المر إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام، فاللهو دواء القلب من داء الإعياء، فينبغي أن يكون مباحًا، ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء، فإذا اللهو على هذه النية يصير قربة، هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها، بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة، فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذي ذكرناه، نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال، فإن الكامل هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين، ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها وسياقتها إلى الحق علم قطعًا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه "[١].

ومن الناس من استدل بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٢] على أن كل لهو حرام، وهذا غير صحيح؛ لأن الآية الكريمة لم تذم اللهو في ذاته، وإنما ذمت من يشتري اللهو ليضل عن سبيل الله، ويتخذها هزوًا، فالمذموم هنا هو المقصود من وراء اللهو، وليس اللهو ذاته.

يؤيد هذا أن القرآن قرن اللهو بالتجارة، وهي مشروعة قطعًا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[٣].

(١) إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي ٢ / ٢٨٧، الناشر: دار المعرفة بيروت، بدون ذكر سنة الطبع.

(٢) سورة لقمان، الآية رقم ٥ .

(٣) سورة الجمعة، الآية رقم ١١ .

رسول الله هو الأسوة

وأسوة المسلمين في ذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان برغم همومه الكثيرة والمتنوعة يمزح ولا يقول إلا حقًّا، ويحيا مع أصحابه حياة فطرية عادية، يشاركهم في ضحكهم ولعبهم ومزاحهم، كما يشاركهم آلامهم وأحزانهم ومصائبهم.

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه وقد طلب إليه أن يحدثهم عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " كنت جاره، فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إلي فكتبته له، فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، وقال: فكل هذا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "، وقد روي وصفه من بعض أصحابه بأنه كان من أفكه الناس.

وقد رأيناه في بيته صلى الله عليه وسلم يمازح زوجاته ويداعبهن، ويستمع إلى أقاصيصهن كما في حديث أم زرع الشهير في صحيح البخاري،وكما رأينا في تسابقه مع عائشة رضي الله عنها حيث سبقته مرة، وبعد مدة تسابقا فسبقها، فقال لها: " هذه بتلك "[1] أي تعادل بلغة الكرة اليوم، ...، وقد روي أنه وطأ ظهره لسبطيه الحسن والحسين في طفولتهما ليركبا، ويستمتعا دون تزمت ولا تحرج، وقد دخل عليه أحد الصحابة، ورأى هذا المشهد، فقال: نعم المركب ركبتما، فقال عليه الصلاة والسلام:" ونعم الفارسان هما "[2].

وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع الحسن بن علي برجليه، فيقول له حزمة ترق عين بقة[3] وفي رواية عند الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أذناي

(١) - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٣ / ٣١٣، رقم ح (٢٦٢٧٧).

(٢) المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي للهيثمي ٣ / ٢٠١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون ذكر سنة الطبع.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦ / ٣٨٠، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١ سنة ١٤٠٩هـ.

هاتان، وأبصرت عيناي هاتان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو آخذ بكفيه جميعًا حسنًا أو حسينًا، وقدماه على قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: " حزقة حزقة أرق عين بقة، فيرقى الغلام حتى يضع قدمه على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال له: افتح فاك، قال: ثم قبله، ثم قال: اللهم أحبه فإني أحبه "[1] ورأيناه يمزح مع تلك المرأة العجوز التي جاءت تقول له: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها: يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز، فبكت المرأة حيث أخذت الكلام على ظاهره، فأفهمها أنها حين تدخل الجنة لن تدخلها عجوزًا، بل شابة حسناء[2] ... "[3].

ومعنى أرق، أي ترق بمعنى اصعد، وعين بقة كناية عن صغر العين، والحزقة: الضعيف المتقارب الخطو من ضعفه، وقيل: القصير العظيم البطن، فذكرها له على سبيل المداعبة والتأنيس له[4].

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣ / ٤٩، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: ٢ بدون ذكر سنة الطبع.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٥ / ٣٥٧، الناشر: دار الحرمين، القاهرة، بدون ذكر سنة الطبع.

(٣) انظر على الرابط التالي: موقف الإسلام من الضحك والمرح (com.addustour).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١ / ٣٧٨، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

الفصل الرابع

الدروس المستفادة من النمل

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدروس المستفادة من نملة سليمان عليه السلام .

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من حياة النمل.

المبحث الثالث: خطورة النمل الأبيض.

المبحث الأول

الدروس المستفادة من نملة سليمان عليه السلام

إن الناظر الحصيف في قصة نملة سليمان عليه السلام يجد تلك القصة الفريدة الماتعة مليئة بالدروس والفوائد والعبر التي يحتاج إليها كل فرد من أفراد هذه الأمة، وفيما يلي أشير في عجالة سريعة إلى بعض تلكم الفوائد والعبر، فأقول وبالله أستمد العون والتوفيق والسداد.

الدرس الأول: أهمية النصيحة وضرورة إهدائها إلى الأفراد والأمم والشعوب

لقد أولى الإسلام النصيحة عناية فائقة، وأهمية قصوى بدعوته إلى ضرورة القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على ضرورة ذلك العمل وتأكيده، وأنه سبب لنيل الخيرية والأفضلية، والنصيحة كما قال الإمام الخطابي رحمة الله عليه: " كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النصح في اللغة الخلوص، يقال: نصحت العسل إذا خلصته من الشمع "(١) وقال بعض أهل العلم: جماع تفسير النصيحة هو عناية القلب للمنصوح له من كان(٢).

إن حاجة الفرد إلى النصيحة والخير والرشاد والصلاح والفلاح أشد من حاجته إلى الغذاء والهواء؛ لذلك حصر نبي الهدى والرحمة عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام الدين كله في النصيحة، فقال عليه الصلاة والسلام موجهًا خطابه إلى أصحابه الكرام الغر الميامين، وإلى من سيأتي بعدهم من آحاد الأمة: " الدين النصيحة – قالها ثلاثًا– قلنا لمن يا رسول الله: قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم "(٣) وقوله: الدين

(١) معالم السنن للإمام الخطابي، ٤ / ١٢٦، الناشر: المطبعة العلمية، حلب، ط: ١ سنة ١٣٥١هـ ١٩٣٢م.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ١ / ٢٢٠، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٧ سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم ح (٥٥).

النصيحة: " يحتمل أن يحمل على المبالغة، أي: معظم الدين النصيحة، ويحتمل أن يحمل على ظاهره؛ لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين "(١) وقد بات هذا الحديث الشريف معدودًا من جملة الأحاديث الأربعة التي تجمع قيم الدين كله؛ يقول الإمام الخطابي رحمة الله عليه: " هذا الحديث من الأحاديث التي قيل إنها أحد أرباع الدين "(٢) ويقول الإمام النووي رحمة الله عليه: " بل هو وحده محصل لغرض الدين كله؛ لأنه منحصر في الأمور التي ذكرها "(٣).

أما حكمها: فهي واجبة الأداء لكل مسلم لمن طلبها ولمن لم يطلبها، وقيل يجب بذلها عند السؤال، ودليله قوله عليه الصلاة والسلام: " وإذا استنصحك فانصحه "(٤) فالنصيحة تبذل عند طلب النصح والاستشارة، وهي من حقوق المسلم على أخيه المسلم، ووجوبها آكد وأحق من ولاة الأمر الذين يلون أمر الكافة والأمة؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: " ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجتهد لهم وينصح إلا لم يدخل الجنة معهم "(٥) وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: " ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة "(٦) وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية هذه الشعيرة، ودورها الأعظم في بناء وصلاح الأفراد والمجتمعات والأمم.

فهل نحن فعلًا وحقًّا نقوم بواجب النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم؟ يجب على كل فرد منا أن يسأل نفسه هذا السؤال المحوري، ومن ثم يجيب عليه بمنتهى التجرد ومطلق الشفافية.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ١ / ١٣٨، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط: سنة ١٣٧٩هـ.
(٢) المصدر السابق ١ / ١٣٨ .
(٣) المصدر السابق ١ / ١٣٨ .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، رقم ح (٢١٦٢).
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم ح (١٤٢).
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته الجنة، رقم ح (١٤٢).

إنه لا عزة لنا ولا منعة ولا استقرار ولا رخاء ولا نجاة من كيد الأعداء والمغرضين والمتربصين إلا بالرجوع مرة أخرىٰ إلىٰ أداء هذه الشعيرة العظيمة، والتعاون والتعاضد، وأن نكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، قال رسول الهدىٰ والرحمة صلىٰ الله عليه وسلم: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا "[1].

إن من تمعن جيدًا في شأن نملة سليمان يجدها تأخذ بزمام المبادرة، وتنشط لأداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتسدي النصيحة لبني قومها، وتهديهم إلىٰ سواء السبيل، إنها عندما رأت سليمان وجنوده متجهين نحوهم قامت مباشرة بدق ناقوس الخطر، وأرسلت إنذارًا قويًّا لقومها قائلة لهم: ادخلوا مساكنكم، إنها لم تسكت، وتمض لحال سبيلها، إنها لم تقل مالي ولغيري، إنها لم تنج بنفسها فقط، وتترك غيرها عرضة للخطر والدمار والهلاك، كلا لم تفعل هذا، وإنما قامت بواجب النصح تجاه بني قومها فأعلمتهم وأشعرتهم بمكامن الخطر القادم نحو ديارهم.

حقًّا، إنها نملة تحمل هم قومها، وتدرك المسؤولية الكاملة الملقاة علىٰ عاتقها؛ ولذلك لم تلذ بالفرار والنجاة لوحدها، وهكذا شأن المصلحين الغيورين علىٰ أوطانهم ومجتمعاتهم وأممهم لا يحملون هموم أنفسهم قط، وإنما يحملون هم إصلاح المجتمع كله، والأخذ بيد جميع أفراده إلىٰ سفينة النجاح والفلاح: " ما أروع هذه النملة، وما أعجب هذه النملة، إنها حملت هم أمتها، إنها أدركت خطورة مسؤوليتها، إنها عندما أحست بقدوم الخطر قبل وصوله قامت صائحة معلنة: إن الخطر قادم، فهلموا أنقذوا أنفسكم، عجيب أمر هذه النملة، عجيب أمر هذه النملة "[2].

أليس: " الخطر الذي يهدد أمتنا أعظم من الخطر الذي هدد نمل سليمان؟ كم منا من يحس بإحساس النملة، ويسعىٰ منقذًا لأمته، ومتلهفًا علىٰ حياة أمته؟ من منا من يقوم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب تشبيك الأصابع في المسجد ونحوه، رقم ح (٤٨١).

(٢) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة علىٰ الشبكة العنكبوتية.

وينام وهو يحمل هم حال الأمة التي يحدق بها الخطر يمنة ويسرة؟ والله إنه ليس بخطر، ولكنها أخطار، ظلمات بعضها فوق بعض، من منا يعيش - أسألكم بالله - يعيش هم هذه الأمة، وهم الأخطار المحدقة بها؟

لنكن صرحاء مع أنفسنا، لنكن صادقين مع أنفسنا، هل نحن نحمل هم هذه الأمة، وما يكاد لها، وما يحاق، وما يتآمر عليها؟ أو أننا نحمل هم الوظيفة، وهم البيت، وهم الزوجة، وهموما أخرى قد يأتي هم الأمة في وسطها، أو في مؤخرتها، وقليل أولئك الذين يضعون هم هذه الأمة في مقدمة همومهم "[1].

إن نظرة أخرى في شأن تلك النملة يجدها نملة نكرة (قالت نملة) فهي نملة من بين النمل الساكن في ذلك الوادي العريض، نملة نكرة تحمل هم أمتها، وتكون سببًا في إنقاذها وانتشالها من الهلاك والضياع، فلنتعلم من تلك النملة هم نصح الآخرين، وإرشادهم إلى سبيل الفلاح والنجاح، لنتعلم من تلك النملة هم تحمل المسؤولية، لنتعلم منها هم إنقاذ الأمة مما هي فيها، وما يحاك ضدها من دسائس ومؤامرات.

الدرس الثاني: عدم تفسير نوايا الآخرين

ينهى الإسلام أتباعه من تفسير نوايا الآخرين، فإن ما في القلوب لا يطلع عليه إلا خالق تلك القلوب، وهو الله علام الغيوب سبحانه وتعالى، ولذا لا يجوز اتهام الناس في نياتهم وبواطنهم، وإنما نحن أمة تحكم بالظواهر، وتكل السرائر والبواطن إلى الله تعالى، وقد قال ربنا جل في علاه في بيان شأن القذفة: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[2] أي: الكاذبون في شرعه وحكمه، مع أنهم في باطن أمرهم قد يكونوا صادقين، ولكن لأجل عدم استكمال نصاب الشهادة حكم عليهم بالكذب، ويقوي هذا الملحظ ويعضده كلام الإمام النسفي رحمة الله عليه في بيان معنى الآية حيث يقول:

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة النور، الآية رقم ١٣ .

"فأولئك عند الله هم الكاذبون، أي: في حكمه وشريعته، هم الكاذبون أي القاذفون؛ لأن الله تعالىٰ جعل التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاؤها، والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم يكن لهم بينة علىٰ قولهم فكانوا كاذبين"[1].

وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيما صح عنه: " إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له علىٰ نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أحكم له بقطعة من نار، فليأخذها أو يذرها "[2] فالرسول صلىٰ الله عليه وسلم يحكم بين أصحابه بما ظهر له، أما السرائر والبواطن فيكلها إلىٰ الله عز وجل، ولم يكلفه ربه بالتدخل في تفسير نوايا الناس؛ لأنه سبحانه وتعالىٰ وحده هو العليم بما في الصدور، وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم معاتبًا ذلك الصحابي الجليل علىٰ قتله شخصًا شهد لله بالوحدانية، ولرسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة والاصطفاء: " هلا شققت عن قلبه "[3] وسبب العتاب هنا هو أن ذلك الصحابي قال لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: إن المقتول إنما نطق بالشهادتين تعوذًا وخوفًا علىٰ حياته، وإلا فهو في باطن أمره لم يدخل في الإسلام طواعية ورغبة، فرد عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بقوله: هل شققت عن قلبه حتىٰ عرفت نيته، وما يضمره في صدره؟ والجواب قطعًا بـــ لا، فهو لم يطلع علىٰ ما في صدر ذلك الرجل الذي قتله

وقال صلىٰ الله عليه وسلم: " إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث "[4] وقال عمر

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي، للإمام النسفي ٢ / ٤٩٣، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من أقام البينة بعد اليمين، رقم ح (٢٦٨٠) ومسلم في صحيحه، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم ح (١٧١٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، باب علىٰ ما يقاتل المشركون؟، رقم ح (٢٦٤٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالىٰ من بعد وصية يوصي بها أو دين، رقم ح (٥١٤٣).

بن الخطاب رضي الله عنه: " لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملًا "[1].

إذا تقرر هذا المبدأ وتأصل، فإن نملة نبي الله سليمان عليه السلام لم يغب عن بالها ملاحظة هذا المبدأ، حيث طبقته تطبيقًا عمليًّا في غاية الروعة والجمال.

إن تلك النملة الذكية لم تقحم نفسها في شأن لا يعنيها وفوق إرادتها وطاقتها، وليس في وسعها أن تطلع على ما في ضمائر وصدور الآخرين، إنها نملة تستحق كل تقدير وإكبار، يقول الأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر في معرض حديثه عن الدروس المستفادة من قصة تلك النملة: " الله أكبر، هل جلست تفسر في النيات؟ هل قالت: إن سليمان قد احتقركم، إنكم جند ضعيف فلا يبالي بكم؟ هل جلست أو جلس قومها يتساءلون؟ بل إنها لو سكتت لفعلت خيرًا، فكيف وقد برأت سليمان عليه السلام وجنوده، قالت: وهم لا يشعرون، أنا لا أتهمهم في نياتهم مع أنهم سيحطمونكم، سيقتلونكم، سيقضون عليكم، لكن وهم لا يشعرون، الله أكبر انظروا إلى حالنا وإلى واقعنا "[2].

يجب علينا أيها الأحبة الكرام والقراء الأعزاء أن لا نكلف أنفسنا مالا تطيق، فنتهم غيرنا في نيته، ونقول إنه ما فعل كذا إلا لأجل كذا، ولم يقدم على هذا العمل إلا أنه يريد من ورائه كذا وكذا، لقد أدركت تلك النملة الأريبة خطورة هذا المسلك: " فلم تدع مجالًا لبني قومها عندما قالت: (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) لأنها لو قالت هذه الكلمة وسكتت قد لا يسكت قومها، قد يقول قائل: ماذا يريد سليمان؟ ولماذا جاء مع هذا الوادي؟ ألم يجد غير هذا الوادي؟ وتبدأ التفسيرات، وتبدأ تفسير النيات، فأغلقت الباب، وقالت -لهم بصريح العبارة - (وهم لا يشعرون).

(١) لم أقف على تخريجه.

(٢) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة على الشبكة العنكبوتية.

دعوكم من تفسير النيات، دعوكم من الاشتغال في قلوب الخلق، إذا كانت النملة تقول هذا القول والقوم مقبلون على تحطيمهم في حقيقتهم، كيف تكون حال من يشتغل بقلوب إخوانه، وهم قائمون لإنقاذهم؟"(١).

ثم هل وجهت أمة النمل عتابًا لتلك النملة الناصحة لها، ودخلت دائرة تفسير النوايا، وما تكنه القلوب والأفئدة، هل قال هذا النمل: " أنت تريدين السلطة، أنت تريدين العلو، أنت تريدين الشهرة، لا أبدًا، استجاب النمل، ودخل في مساكنها، ونجت بدعوة هذه النملة المسلوبة الصغيرة "(٢).

إن التماس العذر وحسن الظن، وعدم التدخل في تفسير النيات ليعتبر من أهم وسائل التعايش السلمي في المجتمعات، فهو يقضي على كثير من الآفات المجتمعية، وهو عين ما قامت به تلك النملة الأريبة العاقلة، ودعت إليه بلسان حالها ومقالها(٣) فلنتعلم منها هذا الدرس البليغ المتمثل في التماس الأعذار للآخرين، وعدم الانشغال بتفسير نوايا الناس، ولننظر إلى عيوب أنفسنا وخطايانا، ولندع الناس لخالقهم وبارئهم، فهو الذي سيحاسبهم على أعمالهم وفعالهم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلى من أتى الله بقلب سليم خال من الغل والحسد والظنون السيئة.

الدرس الثالث: التحقيق في مآلات الأفعال

يقول الإمام الشاطبي رحمة الله عليه في سياق تأصيله للاجتهاد المآلي: " النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعًا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة على الشبكة العنكبوتية.

(٣) انظر: كتابنا المعنون بـــ: تأملات في قصة هدهد سليمان عليه السلام، صـ ٩، الناشر: مكتبة وهبة، ط: ١ سنة ١٤٤١هـ ٢٠٢٠م.

علىٰ خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل علىٰ خلاف ذلك "(١).

إن هذا الاجتهاد المآلي الذي قرره الشاطبي رحمه الله وجعله أصلًا يلوذ به المجتهد في سياق تأصيله للأحكام الشرعية وتنزيلها وتفعيلها في دنيا الناس، يقود لا محالة إلىٰ مسلك علمي عذب المذاق محمود الغب جار علىٰ مقاصد الشريعة، يتمثل ذلك المسلك في السعي الحثيث والدؤوب إلىٰ استشراف المستقبل، وهو:" علم جليل مهذب الأصول، لائح المنهج، وفي إطاره تستطلع الآراء، وتكتنه العزائم، وتستجلىٰ خبايا النفوس، وتستقصىٰ الأمارات من مجريات الأحداث، ثم يصاغ من ذلك كله - وفق ضوابط علمية قائمة علىٰ الإحصاء والتصنيف والاستنتاج - حكم علىٰ مآلات الأوضاع في مستقبل الأيام، وإذا كانت وسائل هذا العلم -مع دقة الاستبصار وجودة النظر - لا تفضي إلىٰ نتائج قطعية، وإنما يكتفىٰ فيها بالظن الغالب، فإن استثمارها من قبل المجتهد في تقدير أيلولة الأفعال في الآجل، مسلك حصيف له نظائر في فقه السنة وعمل الصحابة، وقد كان العمل بالظنون الغالبة جاريًا في الأحكام الشرعية، وصنيع الفقهاء، وأحكام القضاة من غير نكير "(٢).

هذا، وإن من المسالك المعتبرة المعينة علىٰ بلوغ هذا الاجتهاد المآلي الاستهداء بالعادة، فإن: " النظر في العلاقات السببية بين الأفعال في العادة يبصر بمآلاتها المتوقعة في الواقع، فالفعل المعين إذا جرىٰ علىٰ صورة معينة، فإنه يؤول بحكم العادة إلىٰ مآل معين، ومن ثم يقدر المآل قبل وقوعه تقديرًا يقينيًّا أو ظنيًّا بالرجوع إلىٰ العادة المستحكمة "(٣).

ومن المسالك المعينة أيضًا علىٰ بلوغ هذا الاجتهاد في تقدير مآلات الأفعال قبل

(١) الموافقات في أصول الشريعة للإمام أبي إسحاق الشاطبي، ٥ / ١٧٧، الناشر: دار ابن عفان، ط: ١ سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٢) صناعة الفتوىٰ في القضايا المعاصرة، معالم وضوابط وتصحيحات، صـ ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٣) المصدر السابق، صـ ٢٦١.

وقوعها: " الاستهداء بالقرائن المحتفة بالتصرف، والملابسة للحال؛ إذ إن القرائن تحمل بين عطفيها من المقدمات والإشارات ما ينبئ الحصيف عن حصول نتائج محققة، أو غالبة التحقق، ولا يزال العقلاء يعملون القرائن في وقائع الدين والدنيا حتى أصبحت دلالتها على الأحكام في حيز المقطوع به "(١).

إذا تقرر هذا، فإن الناظر بعين البصر والبصيرة يلحظ أن نملة سليمان عليه السلام استهدت بتلكم المسالك الثلاثة، أعني مسلك استشراف المستقبل، ومسلك الاستهداء بالعادة، ومسلك الاستهداء بالقرائن، فتوصلت من خلالها إلى توقع هذا المآل الخطر الذي يهدد قومها إن لم يأخذوا حذرهم، فتوجهت إليهم بالنصح والإرشاد، وأتبعت ذلك بالتحذير من المآل المدمر الذي ينتظرهم جميعًا إن لم ينصاعوا لنصائحها وتوجيهاتها القيمة السديدة، وهو تحطيمهم من قبل سليمان عليه السلام وجنوده، فهل تعي أمتنا المسلمة هذا الدرس، وتأخذ العبرة من صنيع تلك الحشرة الصغيرة؟.

إن نملة سليمان عليه السلام ما إن: " أحست بالخطر حتى تنبهت، وقدمت الحلول، وحذرت من المآلات الخطرة "(٢) وقامت بدور النذير العريان.

وأجد نفسي في حاجة ماسة إلى إجراء مقارنة بين أمة النمل الحصيفة العاقلة وبين بعض بني الإنسان، فإن التاريخ الإنساني يذكر لنا قصة ذلك الشاعر الجاهلي الذي يدعى بـ: لقيط بن يعمر الإيادي، وهو شاعر جاهلي قديم مقل، وقد كان: " كاتبًا في ديوان كسرى سابور بن هرمز الملقب بذي الأكتاف، وكانت إياد غلبوا على سواد العراق، وقتلوا من كان به من الفرس، فلما بلغ خبرهم سابور أجمع على غزو إياد فكتب إليهم لقيط قصيدة ينذر قومه غزو سابور إياهم، ولكنهم لم يلتفتوا إلى نصيحة لقيط، ولم يلقوا لها بالًا، فوقع الكتاب بيد كسرى، فقطع لسان لقيط وغزا إيادا، وهي قصيدة جيدة جدا يقول فيها:

(١) المصدر السابق، صـ ٢٦٣ .

(٢) تأملات في قصة هدهد سليمان عليه السلام، صـ ٩ .

أبلغ إيادا وخلل في سراتهم ... إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا
يا لهف نفسي إن كانت أموركم ... شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا
إني أراكم وأرضا تعجبون بها ... مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا
ألا تخافون قوما لا أبالكم ... أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا

إلى أن قال:

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا ... على نسائكم كسرى وما جمعا
لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل ... فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا
هذا كتابي إليكم والنذير لكم ... لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا[1].

وقد قيل إن قومه إيادا لم يصغوا إلى نصائحه وتوجيهاته التي قدمها إليهم في هذه القصيدة، حتى غزاهم كسرى في عقر دارهم، واطلع على كتاب لقيط، فأمر به فقطع لسانه.

إن لقيطًا تنبأ بما يضمره كسرى لقومه من الشر والغدر والخيانة، وتوقع المآلات الخطرة التي تنتظر إيادًا، فسارع بتقديم النصح لهم، وبذل ما في وسعه، ولم يفكر في نفسه قط، وإنما كان همه الأول هو قومه وعشيرته، ولكنهم - وللأسف الشديد - أهملوا نصحه، ولم يلقوا إليه بالًا، وضربوا بأمره عرض الحائط، حتى غزاهم كسرى، فكان عاقبة أمرهم خسرًا، بينما نجد تلك النملة تصيح منذرة قومها من الخطر الذي بات يهددهم في عقر ديارهم، فيستمعون جميعًا لنصحها وتحذيرها، وقد نجو بسبب ذلك من المآل الخطر الذي كان ينتظرهم، فهل تعي أمتنا هذا الدرس التربوي الفريد، وتتعلم من تلك النملة الصغيرة، فتأخذ حذرها في جميع الأحوال، وتعد نفسها لمهمات الأمور وعظائمها،

(١) الذخائر والعبقريات لعبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي الأديب المصري ٢ / ٢٢٢ - ٢٢٧، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، مصر، بدون سنة الطبع.

وتدرك جسامة المؤامرات التي تحاك ضدها صباح مساء، وتتوقع المآلات الخطرة التي تنتظرها، فتعد العدة قبل فوات الأوان.

الدرس الرابع: تشخيص المشكلة والعمل على إيجاد الحلول والبدائل

إن من أهم ركائز عملية اتخاذ القرار البحث عن البدائل، وهي الطرق المختلفة للوصول إلى الهدف المطلوب، أو لحل مشكلة ما بناء على المعلومات والأفكار الحالية والتراكمية والعملية لحل المشكلات مما يساعد على الوصول إلى الخطوات الأنسب والأمثل.

وتكمن أهمية البحث عن البدائل قبل اتخاذ القرار في أن الكثير من المشاكل والتحديات تتباين حولها الآراء، فقد يكون هناك حلول وبدائل، بعضها له نتائج إيجابية، وبعضها له نتائج سلبية، وفي أحيان كثيرة توجد عدة بدائل مختلفة لكل مشكلة على حدة، ولكل بديل من تلكم البدائل مزايا وعيوب، فإذا لم يكن هناك إلا حل واحد للمشكلة فلا حاجة إذن للتحدث عن البدائل والخيارات المتاحة، حيث إن البدائل تتوافر ولا نلاحظها وندقق فيها في أغلب الأحيان[١].

إن عدم توافر البدائل، والعجز عن تكوينها يعود لجملة حسنة من الأسباب، التي أجملها في النقاط التالية:

عدم كفاية المعلومات وقلتها.

عدم صحة المعلومات الواردة إلينا، وتضاربها أحيانا.

عدم المقدرة الكافية على تعريف المشكلة القائمة بدقة وحرفية.

---

(١) انظر على الرابط التالي: https://subol.sa/Dashboard/Articles/ArticleDetails

عدم استشارة أصحاب الرأي وذوي الخبرة والدراية، واستقاء المعلومة من مصدر واحد.

محدودية التفكير بالحلول المبتكرة وغير التقليدية.

الحواجز الداخلية التي تمنع إدراك وجود بعض البدائل.

فعندما تتسم عملية اتخاذ القرار المناسب بوفرة البدائل وكثرتها، كلما سنحت الفرصة للتقييم والاختيار الأنسب، وفي هذا من المرونة والحيوية والفاعلية مالا يخفى على أحد[١].

إن من المهمات الجسام الملقاة على عاتق العلماء عمومًا من مفتين ودعاة إلى الله عز وجل السعي الحثيث نحو إيجاد الحلول والبدائل الشرعية، فمن حكمة الداعية والمفتي الذي يجيب على تساؤلات المستفتين أنه: " إذا حرم شيئًا فتح الباب إلى بديله الشرعي المباح؛ ليكون معوانًا للنفوس على ترك مألوفاتها المحرمة من غير نفرة أو استيحاش، وليس من شيء حرمه الله تعالى إلا وفي الحلال ما يغني عنه ويسد مسده، ويدرك هذا من أطال التصفح في موارد الشريعة وأحكامها، فإنها تزخر بالبدائل الحلال وأعواض المباح تيسيرًا للتكليف، وتخفيفًا على الخلق، وإرشادًا إلى مصلحة العاجل والآجل "[٢].

يقول العلامة ابن القيم رحمة الله عليه في معرض تأصيله لفقه البدائل الشرعية عند النهوض بمهمة الفتوى والتوقيع عن رب العالمين جل جلاله: " من فقه المفتي ونصحه إذا سأله المستفتي عن شيء فمنعه منه، وكانت حاجته تدعوه إليه أن يدله على ما هو عوض له منه، فيسد عليه باب المحظور، ويفتح له باب المباح، وهذا لا يتأتى إلا من عالم ناصح مشفق قد تاجر الله وعامله بعلمه، فمثاله في العلماء مثال الطبيب العالم الناصح في الأطباء يحمي العليل عما يضره، ويصف له ما ينفعه، فهذا شأن أطباء الأديان والأبدان، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا

(١) المصدر السابق.

(٢) صناعة الفتوى في القضايا المعاصرة، معالم وضوابط وتصحيحات، صـ ٣٢٢ .

عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم[1] وهذا شأن خلق الرسل وورثتهم من بعدهم ... "[2].

وعلاقة هذا المسلك بموضوع بحثنا لائح المنهج، فإن المتأمل في شأن هذه النملة يجد أنها لم تكتف بصرخة البيان والتحذير لقومها فقط، لم تنبههم على مكمن الخطر المحدق بهم، وكفى، وإنما سعت لوضع البديل الأنسب الذي يعين على حل المشكلة الماثلة أمامهم، وقد تمثل هذا البديل في دعوتها الصريحة والجريئة لقومها بلزوم المساكن والبيوت، ويتأكد ذلك عند نزول النوازل والمحن والبلايا والرزايا.

الدرس الخامس: الانتماء الحقيقي للوطن والمجتمع والأمة

إن هذه النملة الصغيرة تعلمنا الانتماء الحقيقي للوطن وللمجتمع، إنها نملة أبدت أعلى درجات التضحية في سبيل وطنها وقومها، وكان بوسعها لو رغبت عن ذلك أن تتنحى جانبًا، ولا تفكر إلا في إنقاذ نفسها من التهلكة، مبررة ذلك بقولها: ماذا أفعل منفردة أمام هذا الجيش العظيم؟ لكنها اعتبرت نفسها حارسة أمام قومها، وما رضيت أن يمسهم أي سوء، فاختارت المخاطرة بالسير في نفس خط سير الجيش لإنقاذ قومها مما يدل على التضحية العالية، وإنكار الذات أمام الوطن والمصلحة العامة، وبهذا الشعور الفائق، وذلك الصدق، وتلك الروح الأخوية الفذة أنجت النملة ذاك الوادي بأكمله، وسطر القرآن قصتها مثالًا ناصعًا على حب الوطن والأخوة ونكران الذات، وبذل ما في الوسع لخدمة الآخرين.

إننا اليوم متعطشون لهذه الروح، روح التضحية من أجل الوطن والمصلحة العامة على حساب المصلحة الشخصية، قارنوا تصرف هذه النملة بما يفعله بعض الأفراد، وهم فئة

---

(١) بحثت ولم أقف على تخريجه.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٤ / ١٢١ – ١٢٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م.

قليلة في هذا المجتمع الطيب من استحلال الأموال العامة والدماء المعصومة التي حرم الله، وتخريب المؤسسات والجامعات، وليتهم كانوا كهذه النملة ليس في شكلها وهيئتها، فالإنسان أجل وأكرم، ولكن في فهمها ووفائها للمكان الذي تعيش فيه وتنتفع به[1].

وأكتفي بما ورد ذكره في هذا المبحث، وأنتقل إلى الذي يليه، وقد خصصته للحديث عن الدروس المستفادة من النمل.

(١) انظر على الرابط التالي: تأملات قرآنية في قصة نملة سليمان – ملتقى الخطباء (khutabaa.com).

المبحث الثاني

الدروس المستفادة من حياة النمل

الدرس الأول: الصبر والجلد

إن من الدروس المستفادة من حياة هذه الحشرة الصغيرة الصبر والجلد، فالنمل يختص بهذه الصفة الفريدة.

ومن الأمثلة الحية التي تعبر عن قضية الصبر والجلد عند النمل ما يلي:

النمل مثال حي للصبر والجلد، وتحمل المشاق والمصاعب عند قيامها ببناء مساكنها، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن البيت من بيوت النمل يسقط، فتعاود فورا بناءه مرة أخرى، ثم يسقط فتعاود بناءه مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى يستقيم البيت كاملًا.

وقد لاحظ أحد الباحثين المعاصرين النملة، وهي تصعد على جدار أملس فتسقط، فتعاود الصعود مرة أخرى، إلى أن بلغت عدد محاولاتها أكثر من عشر مرات، وفي نهاية المطاف وصلت إلى بغيتها التي تريد، وكل ذلك بفضل الصبر والجلد.

إن الواحد منا قد يبدأ في مشروع أو عمل، ويحاول مرة ومرتين وثلاثًا، ثم ينسحب ويستسلم تمامًا، أما النملة فعجيبٌ أمرها لا تعرف اليأس والملل والإحباط، وإنما شعارها الصبر والجلد(١) ولقد أورد المؤرخون قصة القائد المعروف تيمورلنك الذي دخل هو وجنوده في معركة هزموا فيها شر هزيمة: " فما كان من تيمورلنك هذا القائد إلا أن هام على وجهه حزينًا كثيرًا كئيبًا لهذه الهزيمة النكراء، أين ذهب؟ هل ذهب إلى بلده؟ هل ذهب إلى مملكته؟ لا، ذهب إلى جبل إلى مغارة، وجلس فيها يتأمل في الحالة التي وصل إليها وجيشه قد تفرق، وبعضهم ذهب إلى بلده، فبينما هو مستغرق في تفكيره إذا نملة

---

(١) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة على الشبكة العنكبوتية.

تريد أن تصعد على صفاة في الجبل حجرة ملساء، حجر أملس، فسقطت، فحاولت المرة الثانية وسقطت، والثالثة وسقطت، فشدته، وانقطع تفكيره، وبدأ يرقب هذا المخلوق الصغير، تابعها تيمورلنك في المرة السابعة عشرة صعدت، في المحاولة السابعة عشرة صعدت، فقال: والله عجيب، نملة تكرر المحاولة قرابة عشرين مرة، وأنا لأول مرة أنهزم وجيشي، ما أضعفنا، وما أحقرنا، فنزل من المغارة وقد صمم على أن يجمع فلول جيشه، وأن يدخل المعركة وأن لا ينهزم ما دام فيهم حي، والنملة تعيش في رأسه، فجمع قومه، وتعاهدوا على دخول المعركة، وأن لا ينهزموا ما دام فيهم حي، فدخلوا المعركة بهذه النية، وبهذا التصميم فانتصروا "[1] فالنملة لديها إصرار عجيب، وتفان منقطع النظير.

وأختم هذا الدرس التربوي الفريد بذكر بعض الأمور التي تعين على تمثل هذه الصفة الحميدة في حياتنا وتعاملاتنا اليومية، وتعد السبب الأول للنجاح والنهوض والتفوق على الأقران والزملاء، بل تفوق الأمم والشعوب على مثيلاتها، فأقول وبالله أستمد العون والتوفيق:

تحديد ومعرفة الأمور التي تجعل الشخص في عجلة من أمره، وتفقده الصبر والتؤدة والتأني والتثبت والتحري والتوثق، والعمل على تلافيها والتخلص منها.

الشعور بأهمية وقيمة الإنجازات التي يحققها الفرد في حياته؛ لأن الإحساس بضآلة وقلة قيمة الشيء الذي يراد إنجازه وتحقيقه يقوي الرغبة في تجاوزه[2] والصبر على إنجازه.

تحديد الهدف من العمل الذي يراد إنجازه، حتى تهون على العامل مشقة العمل، ويتحلى بالصبر والانتظار أملًا وطمعًا في الوصول إلى الغاية المنشودة.

استشارة الآخرين، ومعرفة وجهات النظر المختلفة، مما يتيح للفرد فرصة التمهل والتثبت في اتخاذ القرار المناسب بعيدًا عن العشوائية والتسرع والتخبط.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أي: تخطيه وعدم الصبر والتحمل.

التعامل مع أشخاص وكائنات يتحلون بصفة الصبر والجلد، ومن بين تلك الكائنات النملة التي نتناولها في دراستنا هذه، أملًا في تعلم تلك الخصلة الحميدة منهم.

قراءة سيرة الحكماء والعظماء الذين غيروا وجه التاريخ بسبب صبرهم ومثابرتهم وإخلاصهم وتفانيهم في أداء أعمالهم على الوجه الأكمل والأحسن.

تجزئة الأهداف الكبيرة إلى أهداف صغيرة حتى يسهل تنفيذها، مما يدفع إلى الصبر على الهدف الرئيسي، والسعي لتحقيقه، فالقيام بالعمل مرة واحدة يفقد الإنسان توازنه، فيقل حينئذ صبره، ويضجر ويمل، ويذهب جميع ما حققه هباء منثورًا.

الدرس الثاني: الجدية في أداء العمل

السؤال الذي يطرح نفسه حول هذه الخصلة هو: هل رأيتم في يوم من الأيام نملة نائمة على قارعة الطريق؟ هل رأيتم في يوم من الأيام نملة واقفة تتفرج على البقية ولا تعمل؟ الجواب قطعًا: هو بــــ لا، أبدًا ما ترى النملة إلا جادة في مسيرتها، وجادة في حركاتها وتنقلاتها من مكان إلى مكان آخر.

إن النملة كائن غريب يتصف بالجدية، وإتقان العمل، وعلو الهمة، النملة لا تعرف الكسل والملل والسآمة، هل رأيتم بالله عليكم نملة تحمل حبة؟ لقد ثبت في دراسات علم الأحياء أن النملة تحمل أكثر من وزنها عشر مرات، الملاحظة تكمن في أن النملة تحمل حبة، وتقطع بها مسافات بعيدة جدًا، حتى الواحد منا إذا كان ممن يتابع هذه القضية، ويرصد هذه الأحوال إذا رأى هذه النملة، ومعها تلك الحبة، وبخاصة إذا كانت تسير وحدها يأتيه شعور عاطفي يتمنى لو يعلم أين بيتها ليحملها هي وحبتها، ويضعها عند بيتها، لكن لا، قد تمكث يومًا كاملًا من أجل أن تقطع مسافة بسيطة جدًا، لا تتوقف ولا تتلكأ، ولا تتردد، هذه حقيقة علمية راقبوها وتأكدوا من صحتها[1].

---

(١) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة على الشبكة العنكبوتية.

إن المتأمل في النمل عند شروعه في بناء بيته يتملكه العجب والدهشة والاستغراب، فالنملة تحضر مسرعة إلى البيت، وتضع ما في فمها من حبة الرمل، ثم تعود مرة أخرى، وهكذا دواليك، حتى تنتهي عملية البناء، يقول أحد علماء الأحياء الذين درسوا حياة النملة، وكتبوا عنها: " إن النمل مجتمع مثالي، مجتمع نشيط، عامل لا مكان فيه لكسول أو خامل، أو أي فرد متواكل "[1].

هل نحن جادون في طلبنا للعلم؟، هل نحن نجد ونجتهد في أداء العبادات التي كلفنا بها الشارع الحكيم جل جلاله؟ هل نحن جادون في طلبنا للآخرة والعمل لها بهمة ونشاط وتفان وإخلاص؟ هل نحن جادون في العمل لإنقاذ أمتنا مما تعيش فيه من تخلف علمي واقتصادي وثقافي وسياسي وتربوي وصحي وخلقي وعسكري؟ كم منا من يحمل هم هذه الأمة ويسعى لنهضتها وتفوقها على مثيلاتها من الأمم والشعوب؟، أسئلة كثيرة تطرح نفسها، ويأتي الجواب عليها بكل شفافية ومهنية تامة بـــ: لا، إلا من رحم ربك، وقليل ما هم، وقليل من عبادي الشكور.

إنه لا عزة لأمتنا ولا منعة لها ولا تقدم ولا نهضة ولا خلاص لها مما هي فيها إلا إذا اعتنت عناية فائقة بالعلم والفكر الثقافة، العلم بمفهومه الكامل والشامل، لا بد لنا إذا أردنا التقدم والتفوق والنهوض أن نغرس في نفوس ناشئتنا الصغار حب العلم، وتحمل المشاق والمصاعب في سبيل تحصيله ونشره وتطبيقه.

لولا المشـــقة ســـاد الناس كلهم   الجود يفقر والإقــدام قتــال[2].

لقد قل اهتمام كثير من المسلمين بالعلم في هذه الأيام، وزهدوا فيه أيما زهادة، وأصبحوا عالة وعبئًا ثقيلًا على غيرهم من الأمم والشعوب، وتوجهوا نحو الكماليات والتحسينيات، وتغافلوا بقصد وبغير قصد عن الانشغال والاهتمام بالضروريات

---

(١) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة على الشبكة العنكبوتية.

(٢) لم أقف على قائله، وهو من محفوظاتي الشعرية.

والحاجيات، أمتنا أصبحت أمة مستهلكة فقط، نحن نستهلك ولا ننتج، أمتنا تعاني من فقر علمي، وعجز حضاري، وخلل أخلاقي، وترد فكري؛ فنحن في أمس الحاجة إلى علماء عباقرة في شتى التخصصات والعلوم النافعة التي تنهض بالأمة من جديد، وتبوئها المكانة اللائقة بها.

إن: " المنظومة الفكرية والهوية الثقافية هي التي تحدد قسمات الأمة، وترسم مسارها، وتطمئنها إلى صواب منطلقاتها، وسلامة أهدافها، وأصالة مرتكزاتها، وانسجام أفكارها مع أشيائها، والمشكلة التي تعاني منها أن الأمة أصبحت إلى حد بعيد خارج السياق الإسلامي في أفكارها وأشيائها معًا، ويبقى المطروح دائمًا، والتحويل المطلوب باستمرار تعبيد البشرية؛ لتصبح صلاتها ونسكها ومحياها ومماتها لله رب العالمين، وتخليصها من الشرك الاعتقادي والفكري والاقتصادي والاجتماعي، ذلك أن المسلم اليوم أصبح لا يشعر بعقدة الذنب إذا اقتصر على أداء الشعائر التعبدية حتى ولو سارت الحياة في سياق آخر بعد أن انفصل العلم عن الحكمة، والمعرفة عن الخلق، وانفصل الدين عن الحياة"[1].

ما أحوج أمتنا في كل وقت - وخصوصًا في هذه الأيام - إلى محاربة داء الكسل والفتور، ودنو الهمة، فنحن المسلمين نعاني من هذا الداء الخطير منذ أمد بعيد، وقد آن الأوان لننفض غبار الكسل والفتور، ودنو الهمة وهبوطها، وننطلق من جديد نحو العمل الجاد، والبناء والاستثمار الأمثل في جميع مرافق الحياة، وقد قيل قديما: في الحركات البركات﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ ﴾[2]، وقوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾[3].

---

(١) إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، ورقة عمل، للدكتور طه جابر العلواني صـ ٧، من إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ١٠٠ .

(٣) سورة هود، الآية رقم ٦١ .

الدرس الثالث: الصدق

من صفات النمل الصدق، لا مكان ولا مكانة لكذاب في مجتمع النمل، لا يعرف مجتمع النمل كذبًا أبيض، ولا أسود، ولا أحمر، حتى التورية غير موجودة في عالم النمل[١] يقول العلامة ابن القيم رحمة الله عليه في معرض حديثه عن خصائص النمل: " لقد أخبر بعض العارفين أنه شاهد منهن يومًا عجبًا، قال رأيت نملة جاءت إلى شق جرادة فزاولته فلم تطق حمله من الأرض، فذهبت غير بعيد، ثم جاءت معها بجماعة من النمل، قال فرفعت ذلك الشق من الأرض، فلما وصلت النملة برفقتها إلى مكانه دارت حوله ودرن معها فلم يجدن شيئا، فرجعن فوضعته، ثم جاءت فصادفته فزاولته فلم تطق رفعه، فذهبت غير بعيد ثم جاءت بهن فرفعته، فدرن حول مكانه فلم يجدن شيئًا، فذهبت فوضعته فعادت فجاءت بهن، فرفعته فدرن حول المكان، فلما لم يجدن شيئًا تحلقن حلقة، وجعلن تلك النملة في وسطها، ثم تحاملن عليها فقطعنها عضوًا عضوًا، وأنا أنظر "[٢].

ألا، فلنتعلم من تلك الحشرة الصغيرة الضعيفة صفة الصدق، فنتوب إلى الله ونستغفره، ونقلع عن ذنوبنا وآثامنا.

الدرس الرابع: التعاون وعدم الأنانية

إن مجتمع النمل مجتمع متعاون لا مكان فيه للفردية والأنانية، وحب الأنا، واحتقار الآخرين، فالتعاون من أخص صفات النمل، ومن مظاهر هذا التعاون:

أولا: عند المشي، فلو رأيت عشرة من النمل يمشون، أو عشرين، فلن تجد من بينها نملة تمشي بمفردها، فالنمل يخط خطا واحدا عند المشي مهما كان عدده، قمة في التعاون وعدم الأنانية، والانضباط التام.

---

(١) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة على الشبكة العنكبوتية.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم، ١ / ٢٤٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

ثانيا: في حال المرض، فلو مرضت نملة، فإن الجميع يتعاون على حملها، والذهاب بها إلى البيت، ومن ثم معالجتها حتى تشفى بإذن الله، فهل نحن نتعاون بيننا حتى في حال المرض والسقم، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم مبينًا لنا المجتمع المسلم المثالي الذي ينشده الإسلام:" مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "[1] وهذا يدل على أن المؤمن يسوؤه ما يسوء أخاه المؤمن، ويحزنه ما يحزنه[2] وقوله: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا "[3] وقد قال الإمام ابن بطال رحمة الله عليه معلقًا على هذا الحديث: " تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا في أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهذا الحديث، وذلك من مكارم الأخلاق "[4] وقوله صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "[5] فآية: " الإيمان الحق أن يرى الفرد نفسه عضوًا في المجتمع، نفعه نفع لنفسه، وضره إضرار بها، فإذا أحس هذا الإحساس الصادق، وانطبع في نفسه رأى غيره كنفسه، بل رآه نفسه، فيحب له مثل ما يحب لنفسه، يحب لنفسه علمًا واسعًا، وخلقًا طيبًا، وعملًا صالحًا، ومكانًا عاليًا، وشرفًا ساميًا، يحب لها بيتًا جميلًا؛ ومالًا غزيرًا، وضياعًا واسعة، وزوجًا صالحةً، وبنين شهودًا، وركوبًا ذلولًا، وأقرباء مخلصين، وإخوانًا صالحين، وخدمًا طائعين، فليحب لأخيه ابن أخيه - دنا أو علا - كل ذلك، أما أن يحب لنفسه أمرًا ولا يحبه لغيره، ويحسده أو يحقد عليه إن ناله فذلك مناف للإيمان، بل ذلك

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم ح (٢٥٨٦).

(٢) جامع العلوم والحكم ١ / ٣٣٠ .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٩ / ٢٢٧، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط: ٢ سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ح (١٣) وأخرجه مسلم في صحيحه، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، رقم ح (٤٥).

بقية من آثار الكفران، وكما يحب لغيره ما يحب لنفسه يبغض له ما يبغض لها، يبغض الفقر والذل، والاستعباد والانحطاط، والبلاء في المال، أو النفس، أو الأولاد، وغير ذلك من الأمور المكروهة، فليبغض لأخيه ما يبغض لنفسه وفاء بحق الإيمان ..."[1].

ثالثًا: عند حمل الطعام، فالنمل تتعاون على حمل الطعام، ولا تعرف ما يسمى بالأنانية، وحب النفس فقط، يقول العلامة ابن القيم رحمة الله عليه في معرض تأملاته عن حياة النمل: "ثم تأمل هذه النملة الضعيفة وما أعطيته من الفطنة أو الحيلة في جمع القوت وادخاره وحفظه ودفع الآفة عنه فإنك ترى في ذلك عبرًا وآيات، فترى جماعة النمل إذا أرادت إحراز القوت خرجت من أسرابها طالبة له، فإذا ظفرت به أخذت طريقًا من أسرابها إليه وشرعت في نقله، فتراها رفقتين، رفقة حاملة تحمله إلى بيوتها سربًا ذاهبًا، ورفقة خارجة من بيوتها إليه لا تخالط تلك في طريقها، بل هما كالخيطين بمنزلة جماعة الناس الذاهبين في طريق، والجماعة الراجعين من جانبهم، فإذا ثقل عليها حمل الشيء من تلك اجتمعت عليه جماعة من النمل، وتساعدت على حمله بمنزلة الخشبة، والحجر الذي تتساعد الفئة من الناس عليه، فإذا كان الذي ظفر به منهن وحدة ساعدها رفقتها عليه إلى بيتها وخلوا بينها وبينه، وإن كان الذي صادفه جماعة تساعدن عليه ثم تقاسمنه على باب البيت"[2].

إن نظرة سريعة في حال أمتنا اليوم يجد الناظر أنها أمة ممزقة مشتتة، متناحرة فيما بينها، أمة تتقاتل على المنصب والجاه والسلطة، يقتل الأخ أخاه لأجل عرض من الدنيا، ويكيد له كيد السوء؛ ولذلك تقهقرنا إلى الوراء وتقدم غيرنا علينا وتفوق، فوجب علينا معالجة هذا الداء، إن الأنانية داء: " اجتماعي خطير فتاك وقاتل، متى نزل وحل بساحة أمة من الأمم كان ذلك نذير هلاك لها، فنسأل الله تعالى أن يعافينا من تلك الأنا القاتلة، والبشرية

(١) الأدب النبوي لمحمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخولي، صـ ١٧، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط: ٤ سنة ١٤٢٣هـ.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١ / ٢٤٢ - ٢٤٣ .

أحوج ما تكون اليوم إلى التخلي عن هذه الخصلة الذميمة والداء الخطير، والرجوع إلى ضد تلك الأنا وهو الحب والتضامن والإيثار والتضحية والتفاني في خدمة بعضنا بعضًا، عند ذلك ستعيش الإنسانية كلها في كنف الإخاء والمودة، ويتوارى جميع أشكال العناد والإصرار والعنف والإباء والاستكبار "(١).

لنتعلم من تلك النملة الصغيرة الحجم التعاون والمودة والحب والإخاء، فمجتمع النمل مجتمع متعاون، لا مكان فيه للأنانية، وحب النفس، والتعالي على الآخرين: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾(٢).

الدرس الخامس: التضحية

التضحية مصدر مشتق من الفعل الثلاثي ضحى يضحي تضحية، يقال ضحى بنفسه أو بعمله، أو بوقته، أو بماله، وفي الاصطلاح: بذل النفس أو المال أو الوقت لأجل غاية أسمى وأرقى، ولأجل هدف أرجى، مع احتساب الأجر والثواب في ذلك من الله جل جلاله، والمرادف لمعنى التضحية الفداء، ومن معانيها البذل والجهاد، ونصوص الكتاب والسنة متضافرة في الحث على التضحية في سبيل نصرة دين الله عز وجل، ومنها قول المولى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٣).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم قدوة في التضحية بالنفس والمال والوقت في سبيل الله، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) انظر: عنوان مقال لنا منشور على موقع كنانة أون لاين، بعنوان: لماذا يصر الإنسان على خطئه وعناده؟

(٢) سورة المائدة، الآية رقم ٢ .

(٣) سورة التوبة، الآية رقم ١١١ .

وسلم قال: " لقد أوذيت في سبيل الله، وما يؤذى أحد، وأخفت في سبيل الله، وما يخاف أحد، ولقد أتت علي ثلاثون ليلة من بين يوم وليلة، ومالي ولبلال رضي الله عنه ما يأكله ذو كبد إلا ما يواري إبطه "(١).

وتنقسم التضحية إلى قسمين: تضحية محمودة، وتضحية مذمومة، أما التضحية المحمودة فهي أن يضحي الإنسان بنفسه، أو بماله في سبيل نصرة هذا الدين العظيم، وأما التضحية المذمومة فهي التضحية من أجل نصرة باطل، أو دعوة إلى حمية جاهلية، وضابط ذينك القسمين هو: أن كل تضحية إذا لم تكن في سبيل الله، أو ابتغاء مرضاته سبحانه، أو لأجل تحقيق مقصد شريف، وهدف نبيل، فتلك تضحية مذمومة تكون وبالًا على صاحبها إن عاجلًا أو آجلًا.

إذا تقرر في أذهاننا كل تلك المعاني السامية عن التضحية والبذل في سبيل الله، فإن مما تجدر الإشارة إليه في ثنايا هذه الدراسة بيان أن النملة كائن عجيب تضحي من أجل المجموعة التي تنتمي إليها، ومما ثبت في الدراسات العلمية أنه إذا جاءت مجموعة من النمل، وواجهت واديًا – أي عائقًا مائيًا – لا نقصد واديًا كوادي النيل أو وادي الفرات، ولكن نقصد ممرًا مائيًّا صغيرًا، فماذا تفعل النمل عندئذ؟

هناك طريقتان لعبور هذا الماء: الأولى: وهي عجيبة وغريبة حقًا، تتشابك النملة، كل نملة تشتبك مع نملة أخرى حتى تكون جسرًا فوق هذا الماء، نملة متصلة بنملة حتى تصل إلى الطرف الآخر، ثم تعبر بقية النمل من فوق هذا الجسر، فإذا انتهت جميع النمل جاءت النملة التي في الطرف الآخر، ومشت والجسر باق مستمر حتى تنتهي جميع النمل من العبور بسلام وأمان.

الثانية: أن يكون العائق المائي أكبر من أن تعمل جسرًا عليه، فتأتى حينها جماعة من النمل، وتقتحم الماء بقوة وبسرعة، وتتشابك، ثم تأتى بقية النمل، وتجري عليها فوق

(١) بحثت عنه، ولم أقف على تخريجه.

الماء مع أنه يغرق عدد كبير من النمل التي نزلت الماء في المرة الأولىٰ، ولكن من أجل إنقاذ بقية النمل من الموت(١) ما أعظمها من تضحية وبذل وفداء وعطاء وتفان وإخلاص ومحبة ووئام.

سبحان الخالق الباري الذي خلق كل شيء فهدىٰ، والأسئلة التي تطرح نفسها في هذا الصدد هي: هل نحن نضحي من أجل بعضنا البعض؟ هل نحن نضحي بأنفسنا في سبيل إحقاق الحق، وإبطال الباطل؟ هل نحن نضحي لأجل قضايانا العادلة والمصيرية؟ هل نحن نضحي في سبيل طلب العلم؟ هل نحن نضحي بأوقاتنا في سبيل تربية أبنائنا وبناتنا تربية حسنة؟ أسئلة تطرح نفسها، وتنتظر الجواب بكل مصداقية، هيا بنا نتعلم ونأخذ العبرة والعظة من هذا المخلوق الصغير الحجم قبل فوات الأوان، وقبل أن نندم، ولات ساعة ندم.

وقبل أن أختم الحديث عن هذا الدرس التربوي العظيم أود الإشارة إلىٰ أن الفرد الذي ربي علىٰ التضحية والبذل والفداء هو فرد قطع شوطًا كبيرًا في سبيل التخلص من سلطان الهوىٰ ونوازع الأثرة، والنفس الأمارة بالسوء، كما أن ذلك المضحي ينال كرم الرب ورضاه في الدنيا والآخرة، وتسعد به الجماعة، ويخلف ربه عليه خيرًا وفيرًا، ورزقًا هنيئًا مريئًا، وأما الجماعة أو الأمة التي تربت علىٰ خلق التضحية والبذل والفداء فإنها ستنجز أهدافها وتحقق طموحاتها، وهي جماعة تستعصي علىٰ أعدائها المتربصين بها، وتتأبىٰ عليهم، والأعظم من كل هذا هو أن الرب سبحانه يقذف الرعب في قلوب أولئك الأعداء الألداء، فتكون في مأمن من الضوائق والمحن والأزمات، وتسلم من داء الشحناء والعداوة والبغضاء، وترفرف عليها التراحم والمودة والوئام، وتنال رحمة الله ومثوبته في الدنيا وفي الأخرىٰ.

---

(١) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة علىٰ الشبكة العنكبوتية.

الدرس السادس: الترتيب والنظام وعدم الفوضى

الترتيب هو التنسيق والتنظيم، ومن أهم فوائده وسماته إنجاز الكثير من المهمات والأهداف في وقت مناسب وقياسي جدًّا، وهو من أسباب تقدم الأمم والمجتمعات، وتحقيق المساواة بين أبناء المجتمع الواحد، وقد خلق الله هذا الكون وأبدعه وأتقنه، وفي ذلك عبرة لنا وعظة، فقد خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوىٰ سبحانه وتعالىٰ علىٰ عرشه، وخلق الإنسان في أحسن تقويم، وبعد أن أتم عليه نعمة الخلق والإيجاد من العدم أتبع ذلك بنعمة الهداية والرشاد، فبعث إلينا رسلًا كرامًا، يبلغون عنه سبحانه، وفي سبيل تحقيق مقصد العبودية لله عز وجل نظم لنا أوقات العبادات التي أمرنا بأدائها وامتثالها، فالصلاة تؤدىٰ في أوقات معينة، وبكيفيات معينة، وعدد ركعاتها معلومة، ولا بد من التطهر قبل الانخراط فيها، والزكاة هي الأخرىٰ محددة بأوقات وأنواع ومقادير، وكذلك الصوم فإنه يؤدىٰ في شهر معلوم، وفي زمن معلوم يبدأ من طلوع الفجر الصادق إلىٰ غروب الشمس، وكذلك الحج فله أشهر معلومات، وكل عمل من أعمال الحج يؤدىٰ في وقت معين ومحدد، والمغزىٰ والمقصد من وراء كل ذلك هو تربية النفس البشرية علىٰ الترتيب والنظام والتنسيق، فالشخص المنظم المرتب يشعر دائما بالسعادة والهناء والراحة النفسية، والاطمئنان القلبي والذهني.

إذا تقرر هذا المقصد وتأكد، فإن مما ينبغي الإشادة به في هذه الدراسة هو أن النمل كائن منظم مرتب لا يعرف العبثية والفوضى، فلا مكان للفوضى في حياته علىٰ الإطلاق، ومن مظاهر الترتيب والنظام في حياة النمل ما يلي:

أولًا: يعمل النمل من الصباح وحتىٰ المساء بهمة عالية وثابة، وعندما يدخل إلىٰ بيته مساء لا يغادره إلا لحاجة أو ضرورة ملحة.

ثانيًا: لو تأملنا في بيوت النمل لوجدناها مقسمة تقسيمًا عجيبًا، غرف مستودعات، وغرف نوم، وأخرىٰ للضيوف والزائرين، وأخرىٰ للمن، وهي حشرة يأخذها النمل

معه، بينما لو نظرنا لبيوت بعضنا لرأينا فيها أمرًا عجبًا، فدلائل الفوضى والعبث والتخلف والتخبط، وعدم الانضباط والاتزان والاتساق لائحة في كل أطراف البيت، وبادية على وجوه ساكنيه ومريديه، المكتبة موجودة في المطبخ، والكتب منثورة في أركان البيت، والأغراض مبعثرة هنا وهناك، فلا وقت للنوم والاستيقاظ، والأكل، والمذاكرة، وقضاء الحوائج، ولا توجد جلسات عائلية داخل البيت، ولا يتفق على شيء، والباب مفتوح لكل من هب ودب من الزائرين والزائرات، في أي وقت أرادوا الولوج ولجوا، فإلى الله المشتكى، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فهلموا أيها الإخوة الأعزاء لنتعلم من هذا الكائن الصغير الذي يقال له النمل، لنتعلم من هذا المخلوق الترتيب والنظام والانضباط في جميع حركاتنا وسكناتنا حتى ننتج لأنفسنا ولأمتنا، ونكون سببًا في سعادتها وتقدمها ورخائها ورقيها.

الدرس السابع: الابتعاد عن الظلم والتعدي على الآخرين

إن من الدروس المستفادة من حياة هذا الكائن العجيب مباعدته عن الظلم والتعدي، فمن أخص صفات النمل عدم تعدي أي صنف من أصناف النمل الأسود على غيره، والنمل على أربعة أقسام: الملكة، والعساكر، والشغالات، والوصيفات، الملكة لها مهمة، وهي وضع البيض، وإدارة المملكة، والوصيفات مهمتها حماية الملكة، وتنظيف المملكة، وتبليغ أوامرها إلى بقية جنود النمل، والعساكر مهمتها حماية النمل وبيوت النمل، والشغالات هي التي نراها دائما تعمل في الخارج، نعم إنها شغالات مرتبة، شغالات ليس لها مخالفات شرعية، شغالات على الوجه الصحيح، يخدم بعضها بعضًا دون عنصرية أو تمييز.

العجيب في أمر النمل هو أنه لا يوجد نوع من أنواع النمل الأربعة تتعدى على عمل غيرها إلا عند الحاجة القصوى والضرورة الملجئة، تصدر الملكة أمرًا فتجتمع الشغالات مع الوصيفات، والعساكر مع الشغالات، ولا يتدخل طرف في عمل طرف آخر إلا أن

يستنجد به، وغالبًا ما يكون هذا الاستنجاد وطلب المساعدة عند مداهمة الخطر[1] فتتعاون الأطراف كلها حينئذ على درء ذاك الخطر، أو الحد من آثاره ونتائجه.

الدرس الثامن: وحدة الكلمة والموقف

ليس أشد خطرًا على الأمة وعلى استقرار المجتمعات من اختلاف الكلمة وتنافر القلوب، وتنازع الآراء؛ لذلك كانت وحدة الكلمة سبب كل خير، والخلاف سبب كل شر، وليس مخرجًا من الفتن إذا استحكمت، والبلايا إذا ادلهمت إلا لزوم الجماعة والتزام الطاعة ...[2] قال رسولنا صلى الله عليه وسلم في معرض حديثه للصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة "[3] وقال أيضًا: " عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته، وساءته سيئته، فذاك المؤمن "[4] وقد أمر الله بالاعتصام بالكتاب والسنة، ونهى عن الفرقة، فقال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[5].

إن من قرأ تاريخ الأمم والشعوب عَلِمَ عِلْمَ اليقين أن من أهم أسباب سقوط الدول

(١) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة على الشبكة العنكبوتية.

(٢) انظر على الرابط التالي: https://alqabas.com/article/465401

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ح (٣٦٠٦) وأخرجه مسلم في صحيحه، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم ح (١٨٤٧).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم ح (٢١٦٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٥) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٣ .

على اختلاف عقائدها ومللها التفرق والاختلاف، وإذا كان النزاع سببًا للفشل، وذهاب الريح، وتسلط الأعداء، فإن من أهم أسباب النصر الاجتماع، ووحدة الصف، والاختلاف والتنازع عاقبته الفشل والخسران المبين، والتعاون والوفاق سبب للفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، والصلاة مظهر من مظاهر وحدة الأمة الإسلامية، ومن مقاصدها العظام تثبيت الألفة والوئام بين المسلمين، ومن أجل ترسيخ مبدأ الوحدة والاتفاق بين المسلمين كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشرع في الصلاة حتى تسوى الصفوف، وقد قال عليه الصلاة والسلام: " لتسون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم "[1] وقد قال الشاعر قديمًا:

كونوا جميعًا يا بني إذا اعترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا ... وإذا افترقن تكسرت أفرادا[2].

إذا تقرر هذا المبدأ كسابقاته من المبادئ، فإن مما ينبغي تحريره في هذه الدراسة تأصيل كون مجتمع النمل مجتمعًا متعاونًا وموحدًا، ومن مظاهر تلك الوحدة والانسجام والاتفاق ما ذكره أحد الباحثين المعاصرين في معرض تأملاته في حياة هذا الكائن الصغير، حيث كتب يقول في هذا الصدد: وقعت حية طويلة عدة أمتار في طريق النمل، فأحس النمل بالخطر فاجتمعت، وصعدت على ظهر الحية وعلى بطنها، ورأيت الحية وقد أخرجت أنيابها، وارتفع رأسها تريد أن تضرب النمل، لكن كيف تضرب النمل؟ والنمل قد بدأ بها من رأسها إلى ذنبها، وما هي إلا لحظات، فإذا بتلك الحية الطويلة تسقط جثة هامدة، حية طولها أكثر من متر، لكن بسبب وحدة الكلمة والموقف استطاعت القضاء على حياة تلك الحية[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، رقم ح(٧١٧) وأخرجه مسلم في صحيحه، باب تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام، رقم ح (٤٣٦).

(٢) لم أقف على قائل هذين البيتين، وهما من محفوظاتي الشعرية.

(٣) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة على الشبكة العنكبوتية.

هل أمتنا تتحد وتقف صفًّا واحدًا عندما يداهمها أو يزاحمها خطر ما؟ هل نقف صفًّا واحدًا في مجابهة عدونا الخارجي ونتصدى له بكل حزم وقوة واتحاد؟ كم يبلغ عدد المسلمين اليوم؟ ولكنهم للأسف الشديد غثاء كغثاء السيل كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم.

لقد آن الأوان أن ندرك تمام الإدراك أننا في زمن التكتلات والتوحدات، فاليد الواحدة لا تصفق، فالله الله في الوحدة والاتفاق والتآلف والتناصر والتحابب، فبالوحدة: " تتكون الأمة وتقوى، والمشاهدة في ذلك دليلنا، فكم من دويلات صغيرة ضعيفة أصبحت دولة تهز العالم بأسره لاتحادها، واجتماع كلمتها، والولايات المتحدة ليست ببعيدة عنا، فأصبحت بالاتحاد دولة من أقوى دول العالم، ودويلات أمريكا الوسطى في غاية الضعف والخذلان لعدم اتحادها، مع أن القارة واحدة، والمناخ واحد، ولكن بالوحدة قويت تلك، وبالتفرقة ضعفت تلك ..."(١).

الدرس التاسع: النظافة والنقاء

مما ثبت في دراسات علم الأحياء أن النمل مجتمع نظيف، ينظف بيته، وثبت أيضًا أن النملة تنظف نفسها يوميًّا حتى تصل في بعض مجتمعات النمل أن النملة تنظف نفسها في اليوم الواحد عشرين مرة(٢) وقد علق الأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر على هذا الملحظ الدقيق، فقال: " ونحن نقول الذي ينظف نفسه من الجمعة إلى الجمعة جزاه الله خيرًا إلا لسبب مشروع نعم، وقد يجلس الواحد - والله أحيانًا - أسبوعين أو ثلاثة لم يستحم...، فإذا استثقلت أن تأخذ حمامًا، أو تتنظف في الأسبوع مرة، فتذكر النملة "(٣).

---

(١) علاج القرآن الكريم للجريمة لأستاذنا الكبير، الأستاذ الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، صـ ٣٨٢ -ـ ٣٨٣، رسالة علمية، تقدم بها المؤلف لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية القرآن الكريم والدراسات القرآنية، قسم الدراسات العليا، شعبة التفسير، تحت إشراف فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري رحمه الله، للعام الجامعي ١٤٠١هـ.

(٢) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة على الشبكة العنكبوتية.

(٣) المصدر السابق.

الدرس العاشر: التسبيح وذكر الله

مجتمع النمل مجتمع مسبح، وقد ورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قرصت نبيًّا من الأنبياء نملة، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أني أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح، فهلا نملة واحدة "[1] أي: لأجل أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح الله جل وعلا، فهلا اقتصرت على تلك النملة العاضة التي عضتك، ما ذنب البقية التي لم تفعل لك شيئا؟

فإذا كانت تلك الحشرة الصغيرة، والمخلوق الضعيف بهذه المنزلة والمكانة السامقة، فهل نحن البشر نسبح الله ونجله ونقدسه، ونعظمه حق التعظيم؟ كم مرة نذكر الله في اليوم الواحد، هل نحن نقرأ الأذكار التي تقال دبر كل صلاة مفروضة؟ هل نحن نقرأ أذكار الصباح والمساء؟ هل نحن نقرأ دعاء الخروج من المنزل والدخول فيه؟ هل نحن نقرأ الدعاء الذي يقال عند دخول المسجد والخروج منه؟ كم مرة نقرأ القرآن في الشهر الواحد؟ أسئلة كثيرة جدا تطرح نفسها، وتنتظر منا الجواب بكل مصداقية وشفافية، وكل إنسان أدرى بنفسه، بل الإنسان على نفسه بصيرة.

الدرس الحادي عشر: الادخار والاقتصاد والتوفير

إن من الدروس والعبر المستفادة من حياة النمل درس الاقتصاد والتوفير والادخار لوقت الحاجة، فالنملة تدخر قوتها في فصل الصيف لتأكله في فصل الشتاء، وقد أوردت كلام العلامة ابن القيم رحمة الله عليه حول هذه المسألة في الدرس الرابع من الدروس المستفادة من النمل فليرجع إليه.

---

(١) تقدم تخريجه.

المبحث الثالث

خطورة النمل الأبيض

تشابه النمل الأبيض مع المنافقين والعلمانيين

هذا النوع من النمل يسمى بالأرضة، والدروس التي تم سردها في المبحث السابق تتعلق بالنمل الأحمر أو الأسود، فهو النمل المتعاون مع زملائه، الصادق في قوله وفعله، المضحي من أجل قومه، المسبح لله عز وجل، وقد ورد ذكر النمل الأبيض في القرآن الكريم عند قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[1] ومعنى الآية كما قال العلامة جمال الدين القاسمي رحمة الله عليه: " فلما قضينا عليه، أي: على سليمان الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض، وهي الأرضة تأكل منسأته أي: عصاه التي ينسأ بها، أي يطرد ويؤخر، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، أي الشديد من الجري على رسمه لهم، والدأب عليه، لظنهم إياه حيًّا ..."[2].

ويشترك النمل الأبيض مع العلمانيين والمنافقين في صفات كثيرة، أذكر منها على سبيل العد لا الحصر ما يلي:

أولًا: النمل الأبيض ظاهره الصلاح والخير، وباطنه الفساد والشر، والمنافق هو من يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

ثانيًا: النمل الأبيض لا يعمل إلا في السر والخفاء، والمنافقون يعملون أيضًا في السر

(١) سورة سبأ، الآية رقم ١٤ .

(٢) محاسن التأويل ٨ / ١٣٧.

والخفاء، وقد بلغ من حرص النمل الأبيض على السرية التامة أنك تجده يغوص في الأرض قرابة ٤٥ مترا حتى يبني بيوته، بينما النمل الأسود أو الأحمر لا يغوص إلا سنتيات لا تتعدى ٥٠ سم، وانظروا بعين الدقة إلى الفرق الهائل بين ذينك النوعين من النمل، وكذلك الحال في المجتمع المسلم الطيب، فإن أفراده يعملون في وضوح تام، يعملون كل ما يريدون في العلن، بينما نجد مجتمع النمل الأبيض بعكس ذلك تماما، يغوص في باطن الأرض قرابة ٤٥ مترا؛ ليتقن خططه الماكرة وأساليبه الخبيثة، وليبقى في منأى عن المراقبة والملاحظة والتفتيش، وهكذا هو حال المنافقين والعلمانيين في كل زمان ومكان.

ثالثا: إن مجتمع النمل الأبيض مجتمع فاسد، يقول أحد علماء الأحياء في معرض حديثه عن النمل الأبيض، وما يبثه من فساد وخراب في الأرض: "لقد تنبهت كثير من الدول في السنوات الأخيرة إلى خطورة هذه الآفة، وأقيمت مراكز متخصصة في كثير منها في فرنسا، وألمانيا الغربية، والولايات المتحدة، وأستراليا، وغيرها من الدول من أجل القضاء على هذه النملة "[١] ويقول أيضًا: " ولقد فطن المجتمعون في ندوة من الندوات التي نظمتها هيئة الحصر الحيواني في الهند بالتعاون مع هيئة اليونيسكو الدولية، والتي عقدت بمدينة نيودلهي عام ١٩٦٠م إلى هذه الصعوبات، وكان من بين قراراتها: دعوة هيئة اليونيسكو إلى تبني فكرة إقامة وكالة دولية لمحاربة النمل الأبيض"[٢].

ويتابع حديثه عن النمل الأبيض قائلا: " ولقد دمرت هذه الآفة، وهي الأرضة قرية باحة المحارث في منطقة أبها عن آخرها، فهجرها سكانها بسبب إصابتها بالنمل الأبيض، وأخفقت منظمة الأغذية والزراعة في إقامة مشروع لزراعة القطن، وتوطين البدو في منطقة حاكمة بسبب شدة إصابة المحصول بهذه الآفة، ولقد تعددت شكاوى المواطنين

(١) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة على الشبكة العنكبوتية.

(٢) انظر: محاضرة بعنوان النملة، للأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر موجودة على الشبكة العنكبوتية.

من مهاجمة النمل الأبيض لمساكنهم، وإتلافها لممتلكاتهم "[1] وكذلك حال مجتمع العلمانيين والمنافقين حيث ينتشر فيه الخراب والفساد والدمار، مما يوجب أخذ الحذر، واتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة والضرورية لكشف زيف أولئك المنافقين والعلمانيين، ومن على شاكلتهم.

ألا فلنأخذ العبرة والعظة من حياة هذا الكائن الصغير، والمخلوق الضعيف، ولنتأسى ونقتدي بالنمل الأحمر والأسود في صفاته وخصائصه ومناقبه الطيبة، ولنبتعد بكل ما أوتينا من قوة وطاقة عن النمل الأبيض، ولنحذر التشبه به في خرابه وفساده وشره وعدوانه، ولنلجأ دائما وأبدا إلى المولى العلي القدير طالبين منه العون والنصر والتوفيق والتأييد والتسديد، فهو نعم المولى ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأكتفي بهذه الإرشادات والتوجيهات والإضاءات، وأنتقل إلى الخاتمة التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي أراها مهمة وضرورية، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) المصدر السابق.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

أهم النتائج والتوصيات

فقد أشرفنا على عتبة الختام، بعد سياحة علمية في قصة نملة سليمان عليه السلام، وبقيت في الوطاب أشياء لا بد من إخراجها، وهي ثمرة من ثمار هذه السياحة الزكية البهية، إنها نتائج البحث والدراسة التي بها ترجح موازينه، وتزكو حصيلته، ويمكن حصرها فيما يأتي:

أولًا: موضوع سورة النمل الرئيسي هو مجال العقيدة المشتملة على الإيمان بالله، وعبادته وحده والإيمان باليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب، والإيمان بالوحي، وأن الغيب كله لله، ويأتي القصص القرآني لتثبيت هذه المعاني، وتصوير عاقبة المكذبين بها، وعاقبة المؤمنين بها.

ثانيًا: من مقاصد سورة النمل: تنزيه أنبياء الله ورسله الكرام وأتباعهم، وتبرئة ساحتهم عن ارتكاب المكاره والمحرمات عمدًا وعدوانًا.

ومن مقاصدها ومراميها أيضا: استشعار كل فرد في المجتمع الدور المنوط به لتحقيق النهوض الحضاري الشامل، مما يدفع نحو العمل والإنتاج في جميع ميادين الحياة المختلفة، وبيان دور القيادة الواعية التي تجعل كل فرد في الأمة يشعر بمسؤوليته، ويؤديها على الوجه الأكمل.

ثالثًا: يعيش النمل في جماعات توزع العمل بين أفرادها، وللنمل فوائد وأضرار وعجائب، ومن فوائده أن قرصه يؤدي إلى تنشيط الدورة الدموية، وزيادة عدد الكريات الحمراء، وتنشيط الخلايا العصبية الموجودة في الدماغ.

ومن عجائبه: امتلاكه قدرة العيش في الصحراء، إذ إنه يتحمل حرارة مائة درجة مئوية، وهو لا يحب الكذب، بل مآل الكذاب في مجتمع النمل هو القتل والإبادة.

رابعًا: كي يستمر الخير والبذل والعطاء في أمتنا من غير انقطاع ولا توقف، ويتواصل

الإبداع والابتكار فلا يتعثر ويخبو لابد لأجيالنا اللاحقة من توارث علوم الأجيال السابقة، فيرث الخلف علم السلف ويهذبه ويزيد عليه، ويصلح ما فيه من خلل وقصور، ويضيف عليه إضافات قيمة وجديدة.

خامسًا: من الدروس المستفادة من قصة نملة سليمان عليه السلام ضرورة تعلم لغات الأمم الأخرى، والاطلاع على ثقافات الشعوب والأمم بغية تحقيق هدف الرسالة العالمية، فسليمان عليه السلام كان على علم بمنطق الطير، ويعرف لغته؛ ولذا تعجب من مقالة النملة، وابتسم ضاحكًا، وشكر ربه على هذه النعمة الوفيرة.

سادسًا: من المقرر في شريعتنا السمحة الغراء دعوتها إلى الرفق بالإنسان والحيوان، ومن ذلك نهيه عن قتل النمل إلا من ضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، فحين يكون النمل مؤذيًا للإنسان فإنه يقتل دفعًا لضرره وأذاه؛ لأن مصلحة الإنسان المتمثلة في صحته وسلامة بدنه من الأذى، ووقايته من الأوبئة مقدمة حينئذ على حياة النمل وبقائه على قيد الحياة.

سابعًا: من الدروس والعبر المستفادة من قصة نملة سليمان عليه السلام حسن الظن بالناس، والتماس العذر لهم، وضرورة التأكد والتحقق من مآلات الأفعال، فنملة سليمان توقعت المآل الخطر لقومها، فدعتهم إلى لزوم المساكن حتى لا يعرضوا أنفسهم للفناء والإبادة والزوال.

ثامنًا: إن مجرد تشخيص المشكلة والتعرف عليها لا يكفي، وإنما لابد أن ينضاف إليه ذلك السعي الحثيث، والعمل الدؤوب نحو إيجاد حلول وبدائل لتلك المشكلة القائمة، وهو عين ما قامت به نملة سليمان عليه السلام.

تاسعًا: مما نتعلمه من نملة سليمان عليه السلام: الانتماء الحقيقي والصادق للوطن والمجتمع والأمة.

عاشرًا: إن مما يجب تعلمه من هذا المخلوق الصغير: الصبر والجلد، والجد

والاجتهاد، والإخلاص والمثابرة، والصدق في القول والفعل، والتعاون والتآلف والتعاضد، وترك الأنانية والحسد والحقد، والتضحية في سبيل الخير والحق، والترتيب والنظام، وترك العبث والفوضى، والابتعاد عن الظلم والتعدي على حقوق الناس وممتلكاتهم وثرواتهم، إضافة إلى وحدة الكلمة وتوحيد الصف، ووضوح الهدف والغاية.

حادي عشر: نتعلم من النمل أهمية النظافة، والعناية بالبدن والثوب والمكان، والمداومة على الأذكار الشرعية، والمسارعة في فعل الخيرات، إضافة إلى تعلم الاقتصاد الذي يعني فيما يعنيه ادخار النقود والمحافظة عليها؛ بغية الاستفادة منها في قضاء الحوائج الضرورية اللازمة، وضرورة الاعتماد على الله، ثم على النفس أولًا وأخيرًا.

أما التوصيات فأجملها في النقاط التالية:

يجب على الدول الإسلامية التوحد والاجتماع، والدخول في تكتلات واتحادات قوية، وترك الخلافات الجانبية والهامشية، وتغليب صوت العقل والحكمة، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، والاعتبار بأمة النمل، تلك الأمة الموحدة المتآلفة المتناسقة التي يضحي كل فرد فيها من أجل مصلحة الآخر وسعادته ورقيه ونجاحه.

السعي لإيجاد هيئات ومنظمات دولية إسلامية تعنى بدراسة أوضاع العالم الإسلامي، وتعكف على دراسة مشكلاته وقضاياه، وتقدم لأولي الأمر الحلول الناجعة، والبدائل الممكنة لحل تلك المشكلات تأسيًّا واقتداء بأمة النمل التي تتوحد فيما بينها، وتتعاون وتتعاضد وتتكاتف بغية الوصول إلى الهدف المنشود، والمقصد المأمول.

ضرورة اعتماد دولنا الإسلامية على أنفسها، وعدم الاعتماد على الآخر، وضرورة تحقيق الاكتفاء الذاتي في جميع مجالات الحياة المختلفة، وخصوصًا في مجال الأمن الغذائي، وأخذ العظة والعبرة بأمة النمل، تلك الأمة التي تشقى في فترة الصيف، فتعمل وتدخر قوتها، لتأكله في فصل الشتاء البارد، فلا مجال ولا أمل في التقدم والرخاء إذا لم نعتمد على

أنفسنا وذواتنا، فالأمة لديها الكثير من مصادر الخير والسعادة والهناء، حيث الأراضي الزراعية الشاسعة، والأيدي العاملة المدربة، والطاقة البشرية الهائلة، والأموال الإسلامية الهائلة المكدسة في البنوك الأجنبية، والمؤسسات المالية الدولية، والثروة الحيوانية الغزيرة، والثروات المعدنية الكثيرة الموجودة في باطن الأرض.

السعي لإيجاد وخلق مؤسسات علمية قوية في برامجها ومناهجها، وطرق تدريسها، على غرار المؤسسات العلمية القوية المنتشرة في جميع دول الغرب المسيحي والشيوعي، فالعلم هو أساس النهضة والتفوق والنهوض الحضاري، والجهل هو عدو التقدم والتفوق والرخاء، والأمم القوية التي يكتب لها البقاء والخلود هي تلك الأمم التي تعتني بالعلم، وتعطيه الأولوية، وتدعم البحث العلمي، والعقول المبدعة المفكرة التي تتقدم بالأمة إلى الأمام، وتسلك بها دروب العزة والريادة والإباء.

فاللهم هيئ لأمة الإسلام من أمرها رشدًا، يعز فيها أهل الطاعة، ويذل أهل المعصية، ويؤمر فيها بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأصلح اللهم ذات بينها، واهدها سبل السلام، وجنبها الفواحش والمحن والبلايا والرزايا ما ظهر منها وما بطن، وانصرنا اللهم على من عادانا، وبغى علينا، ولا تسلط علينا بسبب ذنوبنا ومعاصينا من لا يخافك ولا يرحمنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، وارفع مقتك وغضبك عنَّا، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولمشايخنا، ولمن له حق علينا، وبارك اللهم لنا في أولادنا وذرياتنا، وارزقنا الخاتمة الحسنة، والعاقبة الحميدة، والسيرة المرضية الزكية، وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إمامًا، إنك ربنا وإلهنا وخالقنا على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وصل اللهم على خير خلقك محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة ١٩٨٤م.
- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، بدون سنة الطبع.
- البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت.
- الحيوان للجاحظ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الثانية، سنة ١٤٢٧هـ.
- الذخائر والعبقريات لعبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي الأديب المصري، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، مصر، بدون سنة الطبع.

الرابط التالي: https://subol.sa/Dashboard/Articles/ArticleDetails

- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ط: سنة ١٣٩٩هـ
- النكت والعيون للإمام الماوردي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة الطبع.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للإمام الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٣ سنة ١٤٠٧هـ.
- المعجم الوجيز، ط: وزارة التربية والتعليم.

الرابط التالي: https://ar.wikipedia.org/wiki

- أدوات النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر للدكتور قطب بن مصطفى سانو، الناشر: دار الفكر، ط: أولى سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- الغارة على التراث الإسلامي لجمال سلطان، الناشر: مكتبة السنة، ط: ١ سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- الإدارة علم وفن، لجوان ما غريتا، الناشر: دار السلام، ط: ١ سنة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

الرابط التالي: https://www.annajah.net/

- أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ٣ سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
- التفسير المنير، للدكتور وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، ط: ٢ سنة ١٤١٨هـ.
- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١ سنة ١٤٢٠هـ.
- البحر المحيط للإمام أبي حيان، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: سنة ١٤٢٠ هـ.
- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: ٢ سنة ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.
- المجموع شرح المهذب للإمام النووي، الناشر: دار الفكر بدون سنة الطبع.
- إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي، الناشر: دار المعرفة بيروت، بدون ذكر سنة الطبع.

- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي للهيثمي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون ذكر سنة الطبع.
- المعجم الكبير للإمام الطبراني، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: ٢ بدون ذكر سنة الطبع.
- المعجم الأوسط للإمام الطبراني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة، بدون ذكر سنة الطبع.
- الموافقات في أصول الشريعة للإمام أبي إسحاق الشاطبي، الناشر: دار ابن عفان، ط: ١ سنة ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١١هـ -١٩٩١م.
- الرابط التالي: تأملات قرآنية في قصة نملة سليمان ملتقى الخطباء (khutabaa.com)
- إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، ورقة عمل، للدكتور طه جابر العلواني، من إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- الأدب النبوي لمحمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخولي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط: ٤ سنة ١٤٢٣هـ.
- الذخيرة للإمام القرافي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١ سنة ١٩٩٤م.
- المعونة على مذهب عالم المدينة للقاضي عبد الوهاب المالكي، الناشر: المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
- الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر، سورية، دمشق،

ط: ٤ بدون سنة الطبع.

- التاج والإكليل لمختصر خليل، للإمام المواق المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: ١ سنة ١٤١٦هـ -١٩٩٤م.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للشيخ أبي بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: ٥ سنة ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.
- بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن قيم الجوزية، الناشر: دار ابن الجوزي، ط: ١ سنة ١٤٢٧هـ.
- تفسير الشعراوي الموسوم بـ: الخواطر .
- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط: ٣ سنة ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
- تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة الطبع.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الناشر: مجلة البيان، بدون سنة الطبع.
- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، الناشر: دار طيبة، ط: ٢ سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- تحفة الملوك في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١٧هـ.
- تحفة الفقهاء للإمام علاء الدين السمرقندي، الناشر: مكتبة دار التراث، القاهرة، ط: ٣ سنة ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

- تأملات في قصة هدهد سليمان عليه السلام، للدكتور عبدالرحمن ساكو حسين، الناشر: مكتبة وهبة، ط: ١ سنة ١٤٤١هـ -٢٠٢٠م.
- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٧ سنة ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الناشر: دار الفكر، بدون سنة الطبع.
- رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: ٢ سنة ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام شهاب الدين الآلوسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١٥هـ
- روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط: ٣ سنة ١٤١٢هـ -١٩٩١م.
- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١ سنة ١٤٢٢هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢٧، سنة ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.
- سنن الإمام الترمذي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: سنة ١٩٩٨م.
- سبل السلام للأمير الصنعاني، الناشر: دار الحديث بدون سنة الطبعة.
- سنن الإمام ابن ماجه، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، بدون ذكر سنة الطبع.
- سنن الإمام أبي داود، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا بيروت، بدون ذكر سنة الطبع.
- سنن الإمام الدارمي، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط: ١ سنة

١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

- شرح منتهى الإرادات لمنصور البهوتي، الناشر: عالم الكتب، ط: ١ سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- شرح زروق على متن الرسالة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١ سنة ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.
- صحيح الإمام مسلم، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة الطبع.
- صناعة الفتوى في القضايا المعاصرة، معالم وضوابط وتصحيحات، للدكتور قطب الريسوني، الناشر: دار ابن حزم، ط: ١ سنة ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م.
- طرح التثريب في شرح التقريب لأبي الفضل العراقي، الناشر: المطبعة المصرية القديمة بدون ذكر سنة الطبع.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، لمحمود السعران، الناشر: دار الفكر العربي، ط: ٢ القاهرة، سنة ١٩٩٧م.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- علاج القرآن الكريم للجريمة لأستاذنا الكبير، الأستاذ الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، رسالة علمية، تقدم بها المؤلف لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية القرآن الكريم والدراسات القرآنية، قسم الدراسات العليا، شعبة التفسير، تحت إشراف فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري رحمه الله، للعام الجامعي ١٤٠١هـ.
- في ظلال القرآن لسيد قطب، الناشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط: ١٧، سنة ١٤١٢هـ.

- في رحاب التفسير للشيخ عبد الحميد كشك، الناشر: المكتب المصري الحديث.
- الرابط التالي https://mawdoo3.com/
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١٤هـ
- الرابط التالي: https://www.alukah.net/literature_language
- الرابط التالي: https://ar.islamway.net/fatwa/13304
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط: سنة ١٣٧٩هـ.
- كشاف القناع عن متن الإقناع للإمام منصور البهوتي، الناشر: دار الكتب العلمية بدون سنة الطبع.
- كتاب الشريعة للإمام الآجري، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، ط: ٢ سنة ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
- كشاف القناع عن متن الإقناع.
- لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١٥هـ.
- نيل الأوطار للإمام الشوكاني، الناشر: دار الحديث، مصر، ط: ١ سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للإمام الرملي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: سنة ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي، للإمام النسفي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: ١ سنة ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي ملا القاري، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: ١ سنة ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.
- محاسن التأويل، لجمال الدين القاسمي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١ سنة ١٤١٨هـ.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار الفكر، دمشق سوريا، ط: ١ سنة ١٤٠٢هـ -١٩٨٤م.
- مصنف الإمام ابن أبي شيبة، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١ سنة ١٤٠٩هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- معالم السنن للإمام الخطابي، الناشر: المطبعة العلمية، حلب، ط: ١ سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، الناشر: دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
- معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي وحامد صادق قنبي، الناشر: دار النفائس، ط: ٢ سنة ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م.
- معالم التنزيل للإمام البغوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١ سنة ١٤٢٠هـ.
- موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، لعبد اللطيف عاشور، بدون بيانات.
- مسند الإمام أحمد، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١ سنة ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.
- مقال لنا غير منشور بعنوان: مبادرة اللغات الإفريقية (لغة الأنكو نموذجًا).

الفهرس